سبل الحق جل جلاله
ودعوة للتفكّر

أحمد خليفة اليوسف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ سورة المائدة 54.

أحد أحد الله الصمد مولاي وسيدي وحبيبي أذنت وقلت "يحبونه" ولولاه لما بحت بهواى سبحانك ملئ السموات والأرض ولك المثل الأعلى في نفسي وعيني وأنت أجل وأعظم لك أصغى سمعي وخضع أمري وصح بذكرك قلبي وجوارحي أحد أحد الله الصمد.

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ومنَّ علينا بالإيمان وشرّفنا بالعبودية، فضل خص به تعالى من أخلص النية وعدل في أتباع منهج الصدق في الإيمان. بالله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: 82].

وحيث إن نبذ الظلم هو العدل فإن الظلم هنا هو ظلم النفس ذلك أن الإيمان بالله تعالى يخص الإنسان نفسه ويتحمل توابع اختياره، ولذلك فإن الاختيار يكون منوطاً بالإنسان ذاتياً، والإخلاص في الإيمان هو منهج يرتبط بنية الإنسان ومنهجه الفكري والعلمي. ولذلك يجب التأكيد أن المنهج الفكري لدى الإنسان يلتزم بعلم اليقين وأن الله تعالى هو الحق المبين خالق كل شيء ومليكه تفرد بالصفات والأسماء والأفعال ليس كمثله شيء.

وبناء على ذلك فإن الأمن والعدل تعني إخلاص الإيمان والهدى

لله تعالى ضمن قناعة فكرية وأخرى علمية.

فالقناعة الفكرية هي مفهوم الخلق والغاية من الحياة، وكيفية تحقيق تلك الغاية وتوظيف ما يملك من خصائص فكرية ورغبة الإنسان في أن يتضمن استخدام العلم شتى مفاهيم الحياة.

أما القناعة العلمية فهي مفهوم (الحق) والصدق والإخلاص الذي يثبت العدل من كل انحراف أو فكر أعوج ومتلائم مع كل حقيقة علمية وفكرية.

تتكون القناعة العلمية من شقين متكاملين توحد بينهما أساس العلوم في تداول ومخاطبة العقل البشري حيث إن كل تعارض في تلك العلوم يخلق أثاراً سلبية على الفكر البشري ولذلك هي متكاملة والأخذ بإحداها دون الأخرى يخلق اضطراباً وأزمة فكرية.

هذه العلوم هي:

- العلم المُوحى:

وهي البينات أو العلم المُوحى من الله تعالى لأحد من عباده المصطفين لهداية الناس لسبل الحق.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المؤمنون 44.

بعث الله الرسل لقصد هداية الناس وكانوا في تتابع لأن الناس تُحرف كل البينات الموحاة من الله وتطوعها لأهوائها فتتابع الرسل كان لإعادة الناس إلى جادة الحق ولكن الانحراف مبلغ كل هوى زائغ فبعداً لقوم لا يؤمنون.

وقد ختمت الرسالات برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بنزول القرآن الكريم الذي حفظ العلم الموحى في آيات بينات ومثلا من الذين خلوا وأقام مضمون الكتب الموحاة في الرسالات السابقة لتوحيد الحق جل جلاله دعوة وموعظة للمتقين، هو كتاب لا ريب فيه هدى

للمتقين وعلم أقام به حجة الرسل عند انقطاعهم عن الناس.

لم يفرط الحق عز وجل في بينة إلا وأتى بها القرآن الكريم ومن لم يهده ذلك فقد سيطر عليه الهوى وألغى المنهج العلمي من الفكر.

فكل صفات وأسماء وإبداع صنع الخالق وعلوم الخلق التي أراد سبحانه وتعالى إبلاغها للخلق في ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه هدى للناس.

هو متطلب الفطرة الأولى والتي خلق الله الناس عليها، قال الله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٥٣ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ۝٥٤ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٥ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ۝٥٩ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ۝٦٠ ﴾ الذاريات (50 - 60).

هي رغبة وحاجه الناس للأمن والتي تتحقق بالارتقاء إلى غاية الله تعالى من الخلق.

فحاجة الإنسان للطمأنينة والأمن تتحقق في الخضوع لأمر الله تعالى في الخلق بإخلاص العبودية وذلك ضمن المنهج القرآني.

وحيث إن هذه الحاجة من الإنسان، هي الفكر التي يترجم بها الإنسان رغباته، كان بيانه أن تؤسس على علم اليقين العلم الذي يحقق غاية الإنس والجن من الخلق، وهي فطرة الله لا تبديل لخلق الله.

- العلم المجرد:

هو الشق الثاني من العلوم متحقق من إدراك نتائج التجارب والمشاهدة والبرهان دليل استيعاب وقدرة الإنسان للتعرف على الطبيعة

المحيطة والكائنات الحية بما يفيده ويحقق حاجاته.

كذلك الاستعانة بالوسائل والوسائط المساعدة التقنية والفنية في تحقيق المعارف وتلك الحاجات والرغبات.

إن تكامل العلوم (العلم الموحى والعلم المجرد) في تداول ومخاطبة العقل البشري تعني تماسك الفكر البشري في مواجهة شتى صعاب الحياة وأزمات الفكر.

في حين أن التعارض والاختلاف بين أهواء الناس، ما يمثل ذلك من بدع الديانات المحرفة، في عبادة غير الله تعالى ما هي إلا سبل تبتعد بهم عن الصدق والعدل وعبادة الحق جل جلاله كما ارتضى.

قال الله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ النحل 73 - 76.

إن في خلق السموات والأرض لآيات تدل على الخالق وقدرته عز وجل.

يا أيها الناس أإذا عبدتم دون الله أحداً ضربتم الأمثال في خلق السماوات والأرض لله تعالى؟! والناس تتبع أهواءها في العبادة لغير الله تعالى، فإذا استعصى عليهم خلق السماوات والأرض وقدرة معبودهم الباطل على الخلق قالوا إن هذا الخلق لا خالق له وقالوا هو خلق أزلي.

ذلك أن أكثرهم تعبد أهواءها ولو اتبعتهم لأضلوك، أم جاءهم علم من معبودهم الباطل، إن هو إلا ظن بل إنهم لا يعدلون.

إن عبادة غير الله تعالى تجبر العبد على الخضوع لمعبوده أو

هواه. فهل يستوي هو ومن عبد الله تعالى على بينة وعلم صحيح وينفق في سبيله سراً وجهراً.

الحمد الله بل أكثرهم لا يعلمون، وفيهم من يعلم، وفي كلا الحالتين سيطر الهوى عليهم حتى أعمى بصيرتهم، فلا يستطيعون الفصل بين العبد المتبع لهواه الباطل، والعبد الذي عبد الله على بصيرة وعلم وأنفق مما رزقه الله سراً وجهراً.

إن مثل العبد الأول، من اتبع هواه، هو الأبكم الذي لا يقدر على شيء وأينما يوجهه مولاه لا يأتي بخير... فهل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على علم اليقين والصراط المستقيم.

الذي لا يعبد الله تعالى يكون ولاؤه لهواه فنيّته تتعارض مع الصدق والعدل والإخلاص، هو كاذب لأنه غير صادق النية لا يعبد الخالق الحق فعبادة الخالق هي العدل وغير ذلك فيه ظلم وتجني على النفس ذلك أن الخالق عز وجل ليس في حاجة العبد ولكن العبد في حاجة الله تعالى. فالناس تحيا برحمة الله الذي سخر ما في السموات والأرض وكل نعمة هي من رحمة الله وكل فتنة هي إبتلاء واختبار للناس للتمييز بين الحق والباطل.

فإذا عرفت الله تعالى حق معرفته فإن الإخلاص يكون في عبادته.

بينما عبادة الهوى تعني أن الإنسان يبحث عن منافعه دون الاكتراث لأي أمر آخر " ليس له قناعة ذاتية " أينما توجهه لا يأتي بخير لأنه عرف أنه على باطل ولو كذب على نفسه.

بينما من استجاب للحق والعدل في عبادة الحق يسخر طاقاته ليظهر الحق والعدل "هو على قناعة نفسية " وأينما توجهه يأتي بخير وهو على صراط مستقيم.

وما في الأمر: إن ما قام على الباطل لا ينتج إلا باطل، فلا تضربوا الأمثال، في العلم لله تعالى، فالله له المثل الأعلى إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون.

أما الإصرار على ما حرف والباطل والكذب فلن يغير واقع

الانحراف ولن يكون الكذب حقاً ولو حرصتم.

ولكن الأمر الواقع أن ذلك له أثار سلبية فكرية تراكمية لا تزيد الأمر إلا سوءاً وتسفر عن إلحاد ظاهر أو باطن فما قام على الباطل يظل كذلك وحيث ذلك فإن اللعنة تعرف بالإصرار على الكذب والباطل.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ الأعراف 172- 177.

الله تعالى الذي خلق بني آدم في أجيال متتابعة، كل جيل سلالة الجيل الذي سبقه، وبعث فيهم الرسل معرفين ومنذرين، معرفين بسبل الحق، ومنذرين الناس من عاقبة أتباع الهوى.

فبالإضافة إلى الفطرة الأولى، ورغبة الإنسان وحاجته لعبادة الله، فإن الناس شهدوا أن الله تعالى هو الخالق الحق.

ولكن الهوى، ليس غيره، هو الذي أضل الناس فلا حجة بالآباء وشركهم، فهذه هي آيات الله تعالى هل تكفيكم للرجوع إلى سبل الحق.

كذلك نبأ الذي آتاه الله آيات الهدى ولكن انسلخ منها واتبع الغوى (الهوى) ببصيرة الشيطان زاغ عن الحق وأخلد في تتبع مرادي الهوى، حب الدنيا، وما تعنيه الكلمة من انحطاط فكري عظيم عن رسالة السماء وما

تتضمنه هذه الرسالة من سمو فكري رفيع وتفكر في آيات الله وخلقه.

من هذه الآيات العظام نستنبط ونستدل على آلية ونهج الفكر البشري وهي أن:

الفكر = الهوى (الثقافة + العلم) والتي سنتعرف عليها فيما بعد بالتفصيل.

وعدم قدرة الإنسان للتجرد للحق والعدل تعني كذلك أن أولوياته لا تزال في عبادة أي شيء غير الله تعالى.

إن التطرف والتعصب هو نتاج الباطل حين يصعب مواجهة الحق والعدل كل ذلك يعطي نتائج عصبية منحرفة تؤثر على الفعاليات الإنسانية حتى ينهج سلوك الكلب المسعور للدفاع عن الباطل حين يكون الإنسان قد استنفذ جميع وسائله وألغى عقله، فإذا ظلم الآخرين فإنه قد ظلم نفسه قبل كل شيء.

من ذلك نستدل على الارتباط الشديد بين الفكر والحالة النفسية فالفكر شبكة متصلة ومتداخلة في العلاقات والقيم الإنسانية بل وجميع الفعاليات البشرية هي نتاج الفكر، لذلك فالباحث الفكري هو باحث نفسي، أي يلم بنفسيات الناس الظاهرة والباطنة من خلال الفكر والهوى وبالنسبة إلى المعادلة السابقة فإن تحديد الفكر والهوى يعرفنا ما تخفي الأنفس قال تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ التوبة 64 - 66.

ما يعبر عنها الناس من السلوك الظاهر ومدى ارتباط ذلك بالحالة النفسية للأفراد كذلك الفكر هو نتاج تلاقي عدة عوامل خارجية (بيئية) وداخلية (نفسية) قد تكون بسيطة، أي مؤثرات واضحة، وقد تكون مركبة،

أي تتأثر بعدة عوامل، تسفر عن تحديد السمات الفكرية وسوف نتعرض لذلك فيما بعد.

إن أغلب قرارات وأفعال الإنسان تتسم بالعفوية الساذجة التي تقوى على زمرة من الأهواء، لقد حضر لهم شيء وغابت عنهم أشياء كثيرة تمثلت في الحقائق وعلم اليقين وهدف الخلق في الحياة والممات وما إلى ذلك من أشياء هامة.

ولا يعول ذلك إلا سوء ظن الإنسان وجهله بالله. قال تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ **سورة التوبة 77-80.**

ومربض النفاق هو القلوب (الهوى)، وإذا تمكن منها فإنه يتعاقب عليها أي يزداد سوءاً مع تقدم العمر (مردوا على النفاق)، هو لا يفارقهم حتى يلقوا ربهم، ذلك أنهم كرهوا الصدق فكانوا يكذبون، كأنهم لا يعلمون أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأنه تعالى علام الغيوب، هم الذين يسخرون بالمطوعين من المؤمنين في الصدقات، وليس في جهدهم وقدرتهم إلا إن يسخرون منهم سخر الله منهم، وغضب الله عليهم، وتوعدهم بالعذاب الأليم، ولن يغفر الله لهم، لا تستغفرلهم، الاستغفار لهم وعدمه سواء وذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله وأتبعوا أهواءهم (الكفر والفسوق).

الهوى موجود في حاضر الناس كما وجد في أسلافهم ينتقل ويتغير حسب الظرف الزماني والمكاني من جيل إلى جيل "كأنهم تواصوا به".

لن تهدي من تشاء وليس لنا من الأمر شيء إنما هي ذكرى لعلها تنفع الناس ومن كان يرجو الله واليوم الأخر.

فالذين جاهدوا أنفسهم واذعنوا للحق هداهم الله ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ العنكبوت 69.

والله تعالى مع المحسنين الذين أحسنوا في اتباع الصدق الذي يهدي للحق في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ سبأ 23 – 27.

لن تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن له، فإذا فصل بينكم وبين ما تهوون، فإنكم تذكرون قول الحق في القرآن الكريم قول العلي الكبير سبحانه ما أعظم ذاته وسلطانه.

أمره وسلطانه في السماء والأرض التي أعطت لرزقكم وحياتكم سبباً، فإذا خفي الأمر عليكم أو أنكرتموه فإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين، فلن تسألون عما أجرمنا ولن نسأل عما كنتم تعملون، الله تعالى يجمع بيننا ويفصل بالحق والعدل سبحانه الحاكم العليم.

﴿ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ سبأ 27

أحمد خليفة اليوسف

الفصل الأول

أزمة الفكر وأسباب انحطاط النفس البشرية

الفكر عملية مستمرة متأثره بالعلم والثقافة ومشتقه من موروث الأباء والأجداد والواقع الحالي والمكاني.

مرتبطة بالتغييرات الحادثة في البيئة والمحيط والمعارف التي تخص العلوم والمدارك الحسية والمعنوية.

فالاختراعات والاكتشافات الكمية والنوعية طالت بالتغيير الوسائل المادية والمعنوية وأثرت كثيراً في معنويات ونفسيات الأفراد وبالتالي أدت إلى تغيرات ثقافية ومعرفية هي لا زالت في تغير مستمر.

فالتقدم التقني وانتشار وسائل الاتصال في الزمن الحاضر غيرت واستبدلت نسقاً أجتماعية وسياسية واقتصادية بما في ذلك بعض العقائد الموروثة أو على الأقل أثرت فيها.

فالتطورات التي حدثت في الوسائل العلمية والمستخدمة في البحث ساهمت في انتشار البحوث والنظريات العلمية في مجال واسع فأرست آثاراً عديدة على الفكر.

وكثيراً ما تتأثر الثقافات السائدة في التجمعات الإنسانية من فعاليات وتغييرات ظرفية وشخصية تعود للعلماء والمفكرين.

ففي العديد من التغيرات الاجتماعية والسياسية مآثر تجربة عالم أو مفكر في الفكر والثقافة في مجتمع ما، وقد تخلق أفكاراً جديدة تناقض أو تؤيد المفهوم الفكري والثقافي في تلك المجتمعات.

وفي العموم فإن النظم والمفاهيم الفكرية التقليدية هي ما يكتسبه الإنسان من الثقافات والحضارات السابقة أو بصيغة أخرى هي التراكم العلمي والثقافي لمجتمع ما خلال العصور السابقة أو هي إرث الآباء

والأجداد الذي يفرض نوع من القداسة حيث يساق الناس على حب الاقتداء والتقليد الأعمى، كل ذلك يكون مرتبط بالهوى والمنفعه.

وقد يعزو ذلك جزئياً إلى التركيب الجيني ولكن لا بُدّ من الإشارة إلى أن ذلك يخالف الفكر العلمي أو العادل الذي يتقبل الآخر إنصافاً للعدل ولا يقبل الكذب والتعارض الذي لا طائلة منه على مصادر الفكر إلا بالأسوأ.

وخلاصة القول إن الاختلاف بين ماهو موروث من ثقافة تقليدية وجديدة من الأفكار والإيدولوجيات خاصة في عصر العولمة والتواصل الحضاري، كان له تأثير عميق أوجد انفصاماً فكرياً كبيراً ترتب عليه انحرافات وسفاهات فكرية وقيميه عميقه والأمر يزداد سوءاً مع انخفاض المستوى التعليمي والمستويات الفكرية المتخلفة.

وفي سياق التباين الذي مرت به البشرية ولازالت المجتمعات الإنسانية تعاني منه هي الاكتشافات المكانية والزمانية، فالتقدم التقني أتاح للإنسان أمكانية أفضل ليتعرف على الكون فظهر الحق من الباطل، أن الحقائق الكونية جاءت تخالف كل عقيدة محرفه أو مبتدعه من الإنسان.

ولذلك كان لا بُدّ أن تلاقي معارضة صريحة من أرباب تلك العقائد، من ءامنوا بها وترسخ إيمانهم بهذه الانحرافات لأنها سايرت أهوائهم.

قال تعالى: ﴿ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة الزخرف 21 -24].

إن جميع العقائد المحرفة والمؤلفة لا تهدي إلى الصدق بل إنها تلجأ للكذب لتبرر أهواء معتنقيها فلماذا الإصرار عليها؟ أأتاهم كتاب يهدي إلى الصدق قبل القرآن فهم به مستمسكون بل إنهم قالوا كما قال الأولون، إنا وجدنا أباءنا على أمه وإنا على آثارهم مقتدون.

الباطل لا ينمو إلا عن باطل فما تقتدون به ماهو إلا افتراءات وما نجم عنه إلا انحرافات وأزمات ألقت على الفكر والعلاقات والقيم الإنسانية آثاراً وخيمة.

ذلك أن الحق والعلم البيّن لا يلزم بالتعصب هو محقق الاستقامة في الفكر والمنهج.

ولكن الانحرافات وخاصه الفكرية تلزم بالتعصب، فأمر الكذب يظل أعوجاً ولا سبيل لإصلاحه.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران 99 -100].

حجة الحق الصدق والعدل، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل، فما من حوار وجدل للحق لا يكون إلا بالتي هي أحسن، ذلك أن الحق ظاهر محقق بدون تعصب فكري يلزم بها السلوك والفكر.

أما إن تطيعوا أهل الكتاب على الباطل والكذب فإن ذلك يردكم بعد إيمانكم كافرين، وليس ذلك على الله بخفي.

فالعقيدة التي لم تقم على البينات والعلم الموحى (القرآن الكريم) هي جهل بالحق جل جلاله.

وفي الإصرار والموافقة على ذلك الكذب، والكذب عموماً، لا يزيد الأمر إلا سوءاً ذلك من تأثير الهوى والمصالح والفكر المتخلف والمنحط.

بناءً على ما سبق فإن الفكر:

الفكر = الهوى (الثقافة + العلم)

الفكر ـ (الهوى (الثقافة))= العلم " لا هوى مع الحقيقة العلمية أو علم اليقين "

ـ الفكر + (الهوى. الثقافة) = ـ العلم

فكر سلبي متعصب للإرث أو الباطل والكذب لن يوافق العلم أبداً

ولعل أفضل مثال في هذا السياق العلوم الكونية التي اختلفت كثيراً عما تصورته الأمم السابقة نتيجة لاختلاف المفاهيم الإنسانية مع توفر وسائل ومعدات معرفية أفضل أتاحت للإنسان إمكانيات أكبر لسبر أرجاء الكون أو النفاذ لأقطار السماوات والأرض.

ولاعتبار الحالة موضع الدراسة فإننا نذكّر ببعض الأمثلة التي عرف بها الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) في سفر التكوين.

فيفصل الكتاب المقدس كيفية بدء الخلق على النحو التالي:

بدء الخليقة:

في البدء خلق الله السماوات والأرض، وإذ كانت الأرض مشوشة ومقفرة وتكتنف الظلمة وجه المياه، وإذ كان روح الله يرفرف على سطح المياه.

اليوم الأول: النور

أمر الله: «ليكن نور». فصار نور، ورأى الله النور فاستحسنه وفصل بينه وبين الظلام. وسمى الله النور نهاراً، أما الظلام فسماه ليلاً. وهكذا جاء مساء أعقبه صباح، فكان اليوم الأول.

اليوم الثاني: الجلد

ثم أمر الله: «ليكن جلد يحجز بين مياه ومياه» فخلق الله الجلد، وفرق بين المياه التي تحملها السحب والمياه التي تغمر الأرض. وهكذا كان وسمى الله الجلد سماء. ثم جاء مساء أعقبه صباح فكان اليوم الثاني.

اليوم الثالث: الأرض الجافة والخضراوات

ثم أمر الله: «لتتجمع المياه التي تحت السماء إلى موضع واحد، ولتظهر اليابسة». وهكذا كان وسمى الله اليابسة أرضاً والمياه المجتمعة بحاراً. ورأى الله ذلك فاستحسنه. وأمر الله: «لتنبت الأرض عشباً وبقلاً مبزراً، وشجراً مثمراً فيه بزره الذي ينتج ثمراً كجنسه في الأرض». وهكذا كان. فأنبتت الأرض كل أنواع الأعشاب والبقول التي تحمل بزوراً من جنسها، والأشجار التي تحمل أثماراً ذات بذور من جنسها. ورأى الله ذلك فاستحسنه وجاء مساء أعقبه صباح فكان اليوم الثالث.

اليوم الرابع: القمر والنجوم

ثم أمر الله: «لتكن أنوار في جلد السماء لتفرق بين النهار والليل، فتكون علامات لتحديد أزمنة وأيام وسنين وتكون أيضاً أنواراً في جلد السماء لتضيء الأرض». وهكذا كان. وخلق الله نورين عظيمين، النور الأكبر ليشرق في النهار، والنور الأصغر ليضيء في الليل، كما خلق النجوم أيضاً. جعلها الله في جلد السماء لتضيء الأرض، لتتحكم بالنهار وبالليل ولتفرق بين النور والظلام. ورأى الله ذلك فاستحسنه. وجاء مساء أعقبه صباح فكان اليوم الرابع.

اليوم الخامس: الطيور والأسماك

ثم أمر الله: «لتزخر المياه بشتى الحيوانات الحية ولتحلق الطيور فوق الأرض عبر فضاء السماء» وهكذا خلق الله الحيوانات المائية الضخمة، والكائنات الحية التي اكتظت بها المياه، كلا حسب أجناسها، وأيضا الطيور وفقاً لأنواعها. ورأى الله ذلك فاستحسنه وباركها الله قائلاً: «انتجي، وتكاثري واملئي مياه البحار. ولتتكاثر الطيور فوق الأرض». ثم جاء مساء أعقبه صباح فكان اليوم الخامس.

اليوم السادس: الحيوانات والإنسان

ثم أمر الله: «لتخرج الأرض كائنات حية، كلاً حسب جنسها، من

بهائم وزواحف ووحوش وفقاً لأنواعها». وهكذا كان فخلق الله وحوش الأرض، والبهائم والزواحف، كلاً حسب نوعها. ورأى الله ذلك فاستحسنه.

ثم قال الله: «لنصنع الإنسان على صورتنا، كمثالنا، فيتسلط على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى الأرض، وعلى كل زاحف يزحف عليها». فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم. وباركهم الله قائلاً لهم: «أثمروا وتكاثروا واملأوا الأرض وأخضعوها. وتسلطوا على سمك البحر، وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يتحرك على الأرض». ثم قال لهم: «إني قد أعطيتكم كل أصناف البقول المبزرة المنتشرة على كل سطح الأرض، وكل شجر مثمر مبزر، لتكون لكم طعاماً. أما العشب الأخضر فقد جعلته طعاماً لكل من وحوش الأرض وطيور السماء والحيوانات الزاحفة، ولكل ما فيه نسمة حياة». وهكذا كان.

ورأى الله ما خلقه فاستحسنه جداً. ثم جاء مساء أعقبه صباح فكان اليوم السادس.

اليوم السابع: يوم الراحة

وهكذا اكتملت السماوات والأرض بكل ما فيها. وفي اليوم السابع أتم الله عمله الذي قام به، فاستراح فيه من جميع ما عمله. وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه استراح فيه من جميع أعمال الخلق هذا وصف مبدئي للسماوات والأرض يوم خلقها الرب الإله. ولم يكن قد نبت بعد في الأرض شجر بري ولا عشب بري، لأن الرب الإله لم يكن قد أرسل مطراً على الأرض، ولم يكن هناك إنسان ليفلحها، إلا أن ضباباً كان يتصاعد من الأرض فيسقي سطحها كله. ثم جبل الرب الإله آدم من تراب الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية. وأقام الرب الإله جنة في شرقي عدن ووضع فيها آدم الذي جبله واستنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة بهية للنظر، ولذيذة للأكل، وغرس أيضا شجرة

الحياة، وشجرة معرفة الخير والشر في وسط الجنة. وكان نهر يجري في عدن ليسقي الجنة، وما يلبث أن ينقسم من هناك إلى أربعة أنهر: الأول منها يدعى فيشون، الذي يلتف حول كل الحويلة حيث يوجد الذهب. وذهب تلك الأرض جيد، وفيها أيضا المقل وحجر الجزع. والنهر الثاني يدعى جيحون الذي يحيط بجميع أرض كوش. والنهر الثالث يدعى حداقل وهو الجاري في شرقي أشور. والنهر الرابع هو الفرات[1].

التعليق:

وهذا السرد عن بدء خلق السماوات والأرض غير واضح فما هي الأرض المشوشة والمقفرة وما الفرق بينهما وبين الأرض الجافة لقد تم تلقيح وتحريف هذا الكتاب لعله يتم تلافي ما حرف سابقاً ورغم ذلك يظل هناك فكر منحرف يجهل الخلق ويكذب على الخالق ولو ذكرنا الترتيب الوارد كما يلي:

اليوم الأول: خلق الله النور، هذه العبارة خاطئة فمصدر النور على سطح الأرض هو الشمس فكيف كان النور ولم تخلق الأرض والشمس بعد.

اليوم الثاني: خلق الله الجلد، ما هو هذا الجلد الذي يحجز ما ء عن ماء، فالسماء ليست جلد وإنما هي غاز، ولا يوجد فرق بين المياه التي تحملها السحب والمياه التي تغمر سطح الأرض، فالمياه العذبة على سطح الأرض، هي المياه التي تبخرت من البحار أو على سطح الأرض لتسقط على شكل مطر، وقد تخزن على شكل مستودعات مياه على سطح الأرض خلال فترات زمنية مختلفة، فالمياه الجوفية هي جزء من تلك المياه التي خزنت على فترات زمنية طويلة.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الواقعة (68-69)] .

أما هذه السماء الزرقاء والتي كانت حسب اعتقادهم الباطل سكن

(1) الكتاب المقدس – كتاب الحياة الطبعة الرابعة سفر التكوين ص 1- ص3

للخالق والملائكة فإنها ليست كذلك وهذا الكذب الصريح كان له أثر كبير في تكذيب أعداد كبيرة من المفكرين والعلماء للكتاب المقدس وارتيابهم حتى في الخالق سبحانه وتعالى عما يصفون.

اليوم الثالث: الأرض الجافة والخضراوات، وفي اليوم الثالث بعد تمام الخلق نمت الزروع والأعشاب.

هذا تخريف بيّن وغير صحيح بتاتاً، فالعلماء قدروا عمر المجموعة الشمسية بـ 4.5 مليار سنة تقريباً.

وقدروا عمر الكون من 13 - 16 مليار تقريباً كل هذا التعارض لا يغيب عن العاقل، ولكن في تصديق ذلك يخلق أزمة فكرية عظيمة، بل إن التحريف الأعظم هو الذي زعموا فيه كذباً على الحق جل جلاله، وينتج عنه تعارض كبير مع العقل، إن كتبهم تزعم أن الخالق جل جلاله أستراح في اليوم السابع، كيف يكون خالق أزلي (صمد) ويستريح في اليوم السابع هذا جهل بالله تعالى وقدرته وبهتان عظيم فالصمد الذي هو الله تعالى، وليس أحد غيره، لايموت ولا يزول ولا يتعب ولا يجوع هو موجود أبداً قبل الوجود وأعظم من الخلق وليس كمثله شيء.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة ق (37- 45)].

هي آيات بينات فيها ذكر وعلم لمن وجد له هوى (هو متطلب عام ورئيسي للفكر)، وألقى السمع (تحريره من الميول حتى يقف بالشهادة) والقرآن هو كلام الله تعالى حتى يكون موقع سمع الإنسان ولهذا فإن المستمع شهيد على ما جاء في ذلك الكتاب.

يؤكد الحق عز وجل في هذه الآيات، أنه خلق السماوات والأرض ومابينهما في ستة أيام وما مسه من تعب، فعلى المؤمن الصبر على ما يقولون والتفكر في خلق الله بين شروق الشمس وغروبها وكيف تستر في الليل لتشرق بعد سجود الفجر، من أين جاءت بهذه الآلية ومن ذا الذي سخر ذلك في السماء والأرض؟!

للناس في ذلك عبرة، فإذا لم يكون ذلك التسخير فإن الحياة لن توجد.

فسبح بحمده تعالى لما خلق وسخر، سبحانه ماأعظمه، ولتدرك أن وعد الله حق وأن الساعة آتية لاريب فيها، فالله تعالى يحيي ويميت وإليه المصير.

هو أعلم بما يقولون وليس لنا عليهم سلطان ولكن هي تذكرة لمن خاف وعيد.

كما كان ذلك الكذب على الله تعالى فإنه وجد في صور أخرى ولا زال ذلك مادام الناس تعبد أهواءها على الباطل.

وفي مواقف أخرى:

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة المائدة (17).

الله تعالى هو الحق المبين الخالق جل جلاله والسماوات والأرض وكل شيء بينهما هو مخلوق، وقد علم ذلك من العلم الموحى

وأكد ذلك العلم المجرد والمتحقق من المشاهدة والاستنتاج فكل ما شمل هذا الكون (السماء الدنيا) بين حياة وزوال حتى الإنسان والكواكب والمجرات بل حتى الكون.

كل ذلك هو من خلق الله تعالى الخالق الواحد الصمد وحيث إن كل الخلق زائل فإن الخالق الباقي يخالف ذات المخلوق الفاني وحيث إن كل ماعلمنا في هذه السماء الدنيا مخلوق فإن الخالق ليس كمثله شيء.

أما عبد الله ورسوله عيسى عليه السلام فإنه رسول الله بعث إلى بني إسرائيل ليخرجهم من عبادة هوى النفس الباطل ويعيدهم إلى جادة الحق.

ولقد شفى المرضى بإذن الله وأحيا الموتى بإذن الله وفعل من المعجزات التي آتاها الله إياها ليبرهن للناس أنه رسول الله ورغم ذلك كذبوه فبعداً لقومٍ لا يؤمنون.

إذا ذهب عيسى ظهر من يفتري الكذب ليحقق أهواءهم ويستغل عاطفة الناس بطرح ساذج في افتراء عظيم على الحق جل جلاله ويدعي كذباً أن الله تعالى هو عيسى عليه السلام.

وهناك من أتى بكذب آخر بعد أن علم الكذبة الأولى ليست من الواقع فقالوا اتخذ الله صاحبة وولداً وإنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً، ولا ينبغي لله تعالى أن يتخذ صاحبة أو ولداً، لأن اتخاذ الزوجة والولد يكون لقصد المحافظة على النسل والنوع من الانقراض، وذلك لا يليق بالله تعالى وهو الباقي (الحي) وكل شيء زائل.

فما كان قول عيسى عليه السلام والله تعالى يشهد في القرآن:

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾

مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة مريم (30 -40)].

وفي ماقالوا خضوع لأهوائهم ليستخفوا بعقول الناس أن الله ثالث ثلاثة والله جل جلاله يقول: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [سورة المائدة (73 -75)].

وهذا بهتان عظيم ولا يجوز ذلك لأنه حط من شأن الله تعالى، بل هو إله واحد ذلك أنه لو كان إله غيره لما استقام الأمر ولذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض.

قال الله تعالى: ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [المؤمنون 90-94].

لله تعالى وحده علم الغيب والشهادة ذلك في السموات

والأرض، حيث تختلف المشاهده عن الواقع للنجوم والمجرات للإنسان فإن موقع النجم الحقيقي عند المشاهدة ليس سواء فموقع النجم الحالي يكون قد تغير عن الموقع المشاهد، فيكون موقع النجم الحالي هو من علم الغيب عند الإنسان، وكذلك الله تعالى يشهد على الناس في أعمالهم ونواياهم وهو تعالى يعلم كيف معاد الناس يوم الحساب.

الإصرار على الكذب لن يغير من الواقع ولن يلحق بالحق شيئاً ولكن ستكون له آثار سلبية على الفرد والمجتمع، ذلك أن تصديق الكذب يضع كل سبل الحق والعدل في ضلال، ويصبح التابع"إنسان فارغ فكرياً وسلوكياً" ذلك أنه صدق الكذب وعظمه بل إنه قد يدعو إليه وهو في قراره نفسه يعلم أن ذلك كذب، فما الذي يلزمه على الاستقامة حيث أن الكذب يهدي إلى الفجور الذي هو الطغيان في الفساد وهذا هو الواقع النفسي للكاذب.

قال تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ۝٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ۝٥ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ ﴾ سورة الكهف (1-6).

وتصاغ تلك الادعاءات الكاذبة والباطلة بأساليب ملتوية مبهمة توقع الشك والريبة في الفكر لا تقنع إلا الجاهل أو المرتاب نفسياً ومنتفع مادياً ومعنوياً لا يعلم للحق سبيلاً.

ففي الأناجيل أن يسوع حمل الله الذي يزيل خطيئة العالم فهل في ذلك عدل وهل من المنطق أو العدل أن يكذب المنتفعون لتحصيل أهوائهم ليحمل عيسى عليه السلام أوزارهم.

فهم على اعتقاد باطل أن الله تعالى (الرب أو الأقنوم الأول) اتخذ الأقنوم الثاني (الذي هو المسيح) ليخلص البشر من الخطيئة هذا الفداء أو التضحية تقرباً لمن؟! فلا يجوز أن نضحي بالرب لنرضيه وننال مغفرته ولا يجوز أن نضحي بالابن لنرضى أو نتقرب من الأب؟! هذه الافتراءات لا يقبل بها العقل فإذا لم تكن تقرباً للرب فهي لشيء آخر هو الهوى، حيث منحكم هذا الباطل إمكانية التخلص من الذنب لتستبيحوا القيم والمحرمات باسم المسيح عليه السلام والله يشهد أنهم لكاذبون وكذلك الذين قالوا إن الله تعالى يفرض الإيمان على الناس الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ويقولون في ذلك ظلم وفساد عظيم، أي يحاسبهم الله على ما اختاره لهم، أتقولون على الله الكذب لتستبيحوا حرمات الله، أتقولون بالباطل أنه عين النفاق وأهواءكم المنحرفة.

2- قال تعالى: ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٩٧ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٩٨ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٩ ﴾ [سورة التوبة (97 -99)].

الله تعالى عليم حكيم، لن يخفى عليه أمر أغلب الأعراب ومن مردوا على النفاق، اعتادوا على الكذب والفجور، وهم في ذلك أشد كفراً ونفاقاً وأجدر (أكثر اجتهاداً) في أن لا يقام لله حد وحكم، ومن الأعراب (من) تفيد التبعيض، وفي ذلك فإن جزءاً منهم ينفق ويغرم ليكيدوا على المؤمنين والله تعالى (يدعو عليهم بالسوء واللعنة) إنه السميع العليم، ومنهم كذلك من يؤمن بالله واليوم الآخر، وفي ذلك إصلاح للنية والقلوب لإبتغاء وجه الله تعالى ويتخذ ماينفق قربات لله سيدخلهم الله في

رحمته إنه غفور رحيم.

إن الكذب هو سلوك إنساني لا يكون إلا في الأهواء كذلك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق لا تنتج إلا من الأهواء ولذلك هي مدعاة لانتشار الظلم والفساد لذلك السبب فإن الحق جل جلاله قال: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ سورة آل عمران (99 - 100).

يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله البيّن لما تولون الكذب على الصدق، أتبغونها ديانة عوجاء، وأنتم شهداء ولكم القدرة على الاختيار! أتحسبون الله غافل عما تعملون لتفضيلكم الكذب عن الصدق.

إن الله أعلم بما تعملون، ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب، يردوكم كافرين، لأنكم وافقتموهم على الكذب وصدقتموهم، فمن ابتغى رضى الرحمن فإنه لا يرجو خيراً في فكر أعوج أو إنسان كذاب.

وتصديق الكاذب أو تكذيب الصادق أو تحكم الهوى لمدعاة لانتشار الظلم والفساد على الفكر البشري وكل ما ينوط به من أثر ذلك الإصرار على الكذب والباطل لن يغير طبيعته ولن يستر نور الحق ولو كره الكافرون والجمع بين التناقضات الفكرية، والمدخلات المتناقضة، لا ينمي إلا عن فكر أعوج وإنسان حط من قدر نفسه فهو والكلب المسعور سواء.

وفي بعض الأمثلة التي كان لها أثر كبير في الفكر الغربي (والتي نجمت عن الأفكار المتعصبة للكنيسة) نذكر التالي ففي رسالة جاليليو، الفلكي الإيطالي، والذي لاقى معارضة شديدة من قبل الكنيسة المستبدة حيث كانت تصر على أنَّ ما جاء به الكتاب المقدس من (التوراة والإنجيل) صحيح إطلاقاً ولا يقبل الشك، يقول جاليليو:

إن التمسك بالمعنى الحرفي للتوراة والإنجيل يعرضنا لمخاطر

الزندقة، بل الكفر والتجديف، فالقصص والصور الواردة فيهما لا ينبغي أن تؤخذ على حرفيتها، وإنما كمجازات يستخدمها الكتاب المقدس لمخاطبة عقول الناس وإفهامهم في تلك الأزمان الغابرة، وبالتالي فكل ماهو وارد في التوراة والإنجيل عن نشأة الخليقة والطبيعة ومظاهرها المتعددة كالبرق والرعد والرياح ينبغي أن نفهمه على أساس أنه مجازات وصور رائعة وأما بالنسبة لدراسة الطبيعة بشكل علمي دقيق واكتشاف القوانين التي تتجلى بظواهرها فإن الله وهبنا العقل، والعقل قادر وحده على اكتشاف، الحقائق العلمية، وبالتالي فلا ينبغي أن نبحث في الكتب المقدسة عن قوانين الأرض والسماء، ومكتشفات علم الفيزياء والكيمياء والرياضيات، وإنما ينبغي أن نبحث فيها عن التربية الأخلاقية والهداية الروحية التي تؤدي بنا الى النجاة في الدار الآخرة، وهكذا تكون لكتب الدين مهمتها، ولكتب العلم المحض ووصف الطبيعة وقوانينها مهمتها، ولا ينبغي الخلط بينهما، وهكذا نستطيع أن نتحاشى التناقض، أو حتى في الصدام المروع بين العلم والايمان.

إن النص الموحى الحق هو من علم الله تعالى "علم اليقين" الذي لا يخفى عنه شيء في السماوات والأرض لا يأتيه الباطل في ما يرويه عن الماضي ولا يعارض ما عرف من الحقائق والنظريات العلمية، فإذاً تعهد الله تعالى بحفظ القرآن الكريم.

لذلك لزم عدم خضوعه لأهواء الناس وظل علماً بيّناً حتى يكون دليل الناس للحق وسبل الهداية إليه هو كلام الله الأبدي.

أما الانحرافات الفكرية والعلمية فإنها تلغي عن الكتب السماوية القداسة فتصبح خرافات وأكاذيب فإذا كان:

الفكر = الهوى (الثقافة + العلم)

فإن علم جاليليو جعل يجزم أن ما أتى به التوراة والإنجيل باطل ولا يرقى للثقة والتصديق، بل إن ذلك التخريف سيكون له أثر سلبي على الفكر البشري أو سيعرض المؤمن بها للزندقة.

ومن جهه أخرى فإن هواه أوخوفه من الكنيسة جعله يبحث عن مسميات أقل حِدَّة ووجد ضالته في المعنى المجازى للنص.

أما الواقع أن محاولة التوفيق بين التناقضات أو تمييع المعاني والنص لا يخدم الفكر بل يعزز الأزمة فتأخذ اتجاهاً آخر لتكون مستتره عندها يكون الإنسان يكذب على نفسه وهذه إحدى أساليب الكذب على النفس.

أما آراء جان جاك روسو، أحد أعظم أعلام التنوير الفرنسي، فإنه يرى الشعور باللذة ونقيضها (ذلك جزء من الهوى) يسبق العقل ليس من حيث المنشأ بل حتى من حيث الأهمية.

وأكثر انتقادات روسو كانت لأحادية الجانب (التعصب الفكري) وما نأكد عليه أن التعصب لا يلزم إلا للباطل (فالحق أجدر أن يظهر)، لأنه يأثر على حياة الإنسان النفسية سلباً.

ويرى روسو أن تردي الأخلاق خاصة مع تطور العلوم والفنون في عصر النهضة ألزمه صراعاً نفسياً ذاتياً موقعه القلب والشعور للتغلب على الأهواء السلبية، ويعول في ذلك على الدين (للتصدي للانحرافات الأخلاقية) وكان روسو من أكبر المعارضين للمؤسسات الاجتماعية السائدة في المجتمع الفرنسي بما فيها كلية اللاهوتيين في جامعة السوربون لأنها فشلت في المهمه التي كان يعول عليها في إصلاح الآثار السلبيه الناجمه عن الأهواء والصراع النفسي الذاتي ورغم ذلك إلا أنهم يصرون على الموقف المتعصب وفقط لا لشيء ولكن أهواءهم.

وفي مثال آخر في رسالة كتبها أينشتاين (Einstein) باللغة الألمانية للفيلسوف إريك كوينكيد (Ericcuttind) في يناير عام 1954 م عبر أينشتاين أن "كلمة god. الله" بالنسبة له ليست سوى تعبير ونتاج الضعف البشري.

فالكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) هو عبارة عن مجموعة محترمة بدائية من الخرافات والأساطير التي تظل ساذجة وطفولية ولا

يوجد أي فهم لها يمكن أن يغير رأيه.

ومن ناحية أخرى يفخر أينشتاين بنشأته اليهودية ولكن لا يرى أي ميزة لليهود على باقي الشعوب، التوراة يرى أنهم شعب الله المختار، رغم أن اليهود يظلون بعيدين على التسلط الفردي وأينشتاين من مواليد 1929 م بدأ شكوكه حول جدوى الأديان عندما كان عمره 12 سنة.

ويصور الدين اليهودى كباقي الأديان بأنه يحافظ على درجة من خداع الذات دون أن يسهم في تحسين المستوى القيمي والأخلاقي لليهود.

" الحفاظ على درجة من خداع الذات " والله تعالى يقول "كذبوا على أنفسهم" ففي سورة الأنعام يقول الحق جل جلاله: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة الأنعام (24 -26)]إنه وربي كلام عجبا. يخاطب به الله تعالى الناس بل هو لكل من كان له عقل وهوى.

انظر فعل أمر والصيغة بين ماكانوا(فعل ماضى ناقص) يفترون (فعل مضارع) من الكذب على الله تعالى، وبين فعل الأمر والاستماع الحالي من ناحية أخرى يفيد استمرارهم في الكذب "جعلنا على قلوبهم أكنة" إن آلية الحب والبغض هي من الله تعالى وهو كذلك الذي يسر القرآن للإنسان "علم اليقين الموحى" ورغم ذلك فإن للإنسان القدرة على الاختيار، فإذا اختار "الصدق" فإنه فقه قول الحق عز وجل.

وأما إذا اتبع هواه الباطل (اختار الكذب) فإنه فقد القدرة على التمييز ذلك أن في ءاذانهم وقراً قطع السمع عنه بتاتاً.

وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ذلك لأن الهوى أعمى بصيرتهم

حتى إذا جادلتهم للحق قالوا ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ وهم ينهون عن الحق (القرآن الكريم) ويبتعدون عنه ويأمرون الناس بالابتعاد عنه.

وفي ذلك النهي والنأي معنى يفيد أن أنفسهم لاتقبل الحق منهجاً فكرياً وإن كانوا يقرأونه ظاهراً "ذلك نوع من الكذب على النفس" ألا قاتلهم الله أن يأفكون.

هم لذلك يقتلون أنفسهم لأنهم أبعدوها عن الحق وما يمثل ذلك من صدق وعدل، وجعلوا ظلمات الهوى تسيطر عليهم.

إن الكذب على النفس لا يكون وقعه إلا أعوج ومنحرف على الفكر والقيم الأخلاقية بل يكون له آثار سلبية.

والله تعالى يأمر بالعدل وذلك من تقوى الله عز وجل أن السمو في الفكر والمنهج هو من تقوى الله تعالى ﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة المائدة 8].

بالعدل أمر الله المؤمنين شهداء له بذلك فلا يلزمكم عداء قومٍ على ظلمهم. اعدلوا امتثالاً لقول الله عز وجل.

إن علاقه الفكر بالهوى علاقه قويه حتى أن تلك العلاقه تجبر الإنسان للكذب على نفسه امتثالاً لهواه.

ولقد مضت سنة الأولين في الآخرين قال تعالى: ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَـٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟

إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة الزخرف (21 -24)].

فخضوع المجتمعات الإنسانية لعده قيود اجتماعيه والتزامات فكريه، جعل هذه الجماعه تحدد التوجهات الفكرية ضمن منهج معين، والأمر يزداد تكبلاً وتنكيداً عندما تخضع هذه التوجهات بالمحددات الفرديه.

كل ذلك يعيق الفكر البشرى وتعاظم الأسباب جعل الإنسان حين ظن بنفسه التميز ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ أن الإنسان ليطغى في الظلم فبعد أن راء إبداع خلق الله تعالى، استغنى عن الخالق، فقال ذلك الخلق من دون خالق أو هو خلق أزلي.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الجاثيه 16-29].

البينات والكتب والنبوة كانت في بنى إسرائيل وفضلهم الله على العالمين على علم وتقوى، والعلم سبيل التقوى، وما اختلفوا إلابعد ماجاءهم العلم فالهوى يزيغ بفكر الإنسان عن الحق.

الله تعالى يقضي بينهم يوم القيامة وشريعة الخاتمة وأمر الوحي كانت رسالة القرآن الكريم وبعث محمد صلي الله عليه وسلم فاتبعوا شريعة الله تعالى ولاتتبعوا أهواء الذين لايعلمون.

الكاذبون يتبعون ويتولون بعضهم البعض على الهوى والباطل والله تعالى ولي المتقين يهديهم بعلم وبصائر لهدى ورحمه للناس ومن أتقى الحق جل جلاله.

يظن الظالمون أنهم كالذين أمنوا في المحيا والممات ساء مايحكمون فالذين آمنوا عرفوا حقيقة الحياة والظالمون لم يعرفوا الحياة التي هي اختبار نهايتها الفناء، فكل منهم حكم بمعرفته وفكره.

الله تعالى خلق بالحق، وسيجزى كل نفس بالحق والعدل، والذين أطاعوا الهوى الباطل فقد عبدوه وجعلوه إلهاً، وإن كان ذلك على علم (العلم وسيلة فإذا كان غاية أصبح هوى) لا قيمة له لم يفرق بين الحق والباطل، لأن هواه ختم على سمعه وقلبه، ويجعل على بصره غشاوة عن رؤية حجج الله وآياته، فلن يهتدى لله بعد أن ضل سبيله للحق.

﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ حين جهلوا معنى

الحياه، ﴿ وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ ﴾ ولم يعرفون أن الدهر الذى هو الزمان والمكان مخلوق بأمر الله، ذلك ظنهم لأنهم جهلو القرآن الكريم، ﴿ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ إنهم استعجلوا أمر الله فقالوا أحيوا آباءنا إن كنتم صادقين.

الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أَكثر الناس لا يعلمون، لله ملك السموات والأرض ويوم القيامة يخسر من اتبع الباطل سبيلاً، وفي ذلك اليوم سيكونون على ركبهم من عظمة وهول اليوم (يدل على الخضوع والذلة)، وستدعى كل أمة بكتابها وستجزون باتباعكم الحق او الباطل، هذا كتاب الله "القرآن الكريم" فيه الحق نطق والله يعلم ماتعملون فهل يكفيكم ذلك.

فالحق لايبلى قال تعالى: ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الأنبياء 18].

ولصياغة المنهج الفكري ضمن هيكل عملي فإنه ميزنا الهرم الفكري حسب التسلل التالي:

الفكر - الفكرة - النظرية - الحقيقة وعلاقة كل ذلك بالحق جلاله.

الفصل الثاني

الفكـــر

الفكر هو نشاط إنساني (على الأقل في العالم المشاهد) عقلي يكسب صفة الاستمرار في الكائنات الحية يؤدي مهام: 1- الاعتبار والتعليم 2- التمييز والاختيار 3- التنفيذ والاستفادة ولكن في الواقع الفكر هو نسب التقدير (التأليف) والتوليف (المزج) بين المدخلات المتغيرة في عملية مستمرة.

فالاعتبار من التفكير وهي الاستفادة في ما يتحقق من نتائج وتجارب الماضي وما تتطلبه عملية التعليم من دراسة بينة (علمية وفكرية).

والاعتبارات الفكرية كمدخلات لا تتطلب مستويات عقلية خاصة وللاستفادة من التجارب السابقة وخاصة مع توفر مناهج علمية وفكرية قابلة للتطبيق، لذلك فإن عملية التعليم تعني اختيار وتحقيق أقصى استفادة ممكنة من تجارب الماضي، بالإضافة فإن المستوى الفكري والعلمي يعطي إمكانيات وقدرات أفضل في عملية التميز والاختيار بين الحق والباطل والخطأ والصواب، كذلك وفي كافة الاعتبارات والاختيارات يجب الاعتماد على الحقائق والافتراضات العلمية.

وحيث إن متطلبات وحاجات هامة تعرف عن سبيل العلم الموحي كان ولا بُدّ أن يكون هذا المصدر ذا مصداقية مطلقة لأنها من الحق جل جلاله خالق كل شيء.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ لقمان 25-27.

فئات من الناس لا تعلم أن الخلق لا بُدّ أن يكون له خالق عظيم هو أعظم وأعلم من كل الخلق، هو الخالق سبحانه له ما في السموات والأرض وهو الغني الحميد ولذلك هو العزيز الحكيم إطلاقاً.

ولن تأتوا بكلمات مثل علم الله الموحى ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر لن تأتوا بعلم القرآن الكريم، فإذا أخذنا مثل وعند المستوى الأهم من عملية التفكير فإنها تحقق الغايات والأهداف التي أقامت العملية الفكرية بإجمالها.

فإذا كان الهدف هو الحق جل جلاله فإن الأمر لا يؤخذ إلا بالمطلق فالله تعالى له المثل الأعلى في الخلق والصفات والأسماء.

قال تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾ الأعراف 178- 183.

فإذا أخذ الإنسان بالاعتبار والتبصر وقدر الحق قدره سبحانه وتعالى فإن الاختيار في ضوء الإمكانيات والوعي المسئول يجب أن يكون الفكر العلمي المستمد من كتاب الله وذلك يربط الفكر بالوجود المادي في هذه الحياة (أنا أفكر فأنا موجود)، كل ذلك هو ضمن المدخلات الفكرية وبالنسبة للمخرجات وهي جميع الفعاليات الإنسانية الظاهرة والباطنة.

كانت تلك الطريقة المثلى للاعتبار والاختيار في عملية الفكر ولكن من الواقع والذي هو أكثر تطبيقاً على حياة الأفراد والجماعات فإن الفكر هو عملية الجمع (التأليف) والتوليف (المزج) بين المتغيرات المختلفة (المدخلات) في عملية تكسب صفة الاستمرار وهذه المتغيرات هي:

العامل الثقافي:

هو من المدخلات الفكرية تحدد ضمن المصادر التي يستمد منها الفكر العبر والمثل بالاضافة إلى عملية التعليم والتزود الاجتماعي من عادات وتقاليد والدين حتى الاعتقاد كل ذلك يكون ضمن العامل الثقافي.

أو هي المخزون الفكري من الآداب والعلوم، ويشمل ذلك اللغة والفن والعادات والتقاليد الاجتماعية والثقافية وكل سمة من سمات المجتمع بما فيه ذلك طريقة التفكير والارتباطات الزمنية والمكانية وتميز كل جماعة أو مجتمع بطابع معين.

في حين فإن دمج المخزون الفكري بالمنهج العلمي يعطي العلوم الاجتماعية بعداً آخر لاستغلال العلم في الاستدلال العلمي وما يشمل من جمع وتصنيف وبحث واستنتاج.

وحيث إن المخزون الفكري للمجتمع هو الإرث الاجتماعي فإن ذلك يزداد كماً ونوعاً كلما زاد المجتمع عمراً ولذلك هو يتأثر بالظرف الزمني والمكاني والنوعي (درجة الوعي) فالمجتمع الحضري يختلف عن المجتمع القاري (لا يكون قريب من الساحل).

ورغم ثورة وسائل الاتصال والمعرفة إلا أن درجة من الخصوصية تكون ظاهرة لكل مجتمع، ولكن تأثير هذه الثورة والعولمة يظل كبير على الأفراد والمجتمعات بالأخص المجتمعات البدائية والنامية وذلك لأن الاستعداد للتلقي والتعامل مع التقنيات الجديدة والمتغيرات الثقافية والعلمية وما صاحب ذلك من انبهار بالمستوى التقني والعلمي كان ذا تأثير كبير على المجتمعات ونفسيات الأفراد وبالمقابل ساعد في

انهيار القيم الأخلاقية والمعنوية.

العامل العلمي:

إن التداخل بين العامل العلمي والعامل الثقافي كبير ذلك أن كلا العاملين يؤثر في البناء الفكري الفردي والجماعي بنسب متفاوتة تختلف من فرد إلى آخر.

إلا أن الفارق عظيم بين الحقيقة العلمية(علم اليقين) وأي افتراض فكري معين علي الرغم من أن تلك الحقيقة (علم اليقين) تؤثر تأثيراً كبيراً في بناء الثقافة العلمية في الفكر البشري وذلك باختلاف من فكر إلى آخر، اختلاف القبول العلمي أو الالتزام بالصدق والعدل، أو علي الأقل التجرد من الأهواء، ومثال ذلك فإن كروية الأرض حقيقة علمية ولكن الإصرار على أن الأرض مستوية لن يغير الحقيقة.

قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة فصلت 53].

فإذا كان القرآن الكريم هو كلام الله أنزل في العصور الماضية فإنه خاطب العالمين وتحديداً بعد انقضاء عهد الرسل، فإذا كانت علوم الناس عن الخلق والعلة في زمن نزول القرآن محدودة فإن كلام الله استدرك الخلق في السماء والأرض وتبين للناس أنه الحق ومنهج للناس في المعاش والميعاد (الدنيا والآخرة) أو لم يكفكم أن الله على كل شيء شهيد.

ومن القرآن الكريم (علم اليقين) لكم العبرة في إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى في قصة إبراهيم: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟

رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾ ﴾ [سورة مريم 46 - 50].

يخبر الله تعالى في هذه الآيات عن جدال إبراهيم لأبيه وأن إبراهيم عليه السلام اعتزلهم وفارقهم إن دعوا لغير الحق عز وجل ولياً وسوف يدعو الله عسى أن لا يكون بدعاء ربه وعبادته شقياً، كما يشقون هم بعبادة الأصنام.

الشقاء هنا هو الانحطاط والتعصب الفكري في الدعوة للباطل وعدم التزام الصدق والحق سبيل للدعوة لله تعالى والتي لا تأتي إلا على هدى ورحمة منه تعالى يخص بها من يشاء من عباده الصالحين المخلصين.

وقد وهب تعالى لإبراهيم إسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام أجمعين وأتاهم الكتاب والنبوة وحيث ما كان الوحي لا يكون الكذب ولذلك فإنهم لم يتحدثوا إلا صدقاً، وهو ظاهر على الكذب والباطل "لسان صدق علياً".

إن الفرق بين المؤمن بالله تعالى والمنافق هو لسان الحال فالمؤمن لا يكون ألا صادقاً في ما أحب وكره أما المنافق فإنه هو من اعتاد على الكذب ويضمر الكفر بداخله ولو كذب على نفسه وادعى الإيمان. هذه هي حالة نفسية ولن يستطيع المنافق أن يؤمن حتى يصلح من نية الفساد، ودعوته للفجور وطغيان الظلم.

ومن إصلاح الحال أن لا تتخذ الكافرين أولياء بالكذب على النفس والآخرين وفي ذلك إثم مبين ودعوه إلى الفساد فالله تعالى خير الجازين.

إن أهم وأول شروط الإيمان والأمان هو الصدق والالتزام به منهجاً بنبذ الكذب والضلال وإن دعي أحد للأيمان وهو يكذب فإنه

منافق قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ الصف 2-3.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝١٤٢ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ۝١٤٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ۝١٤٤ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ۝١٤٥ ﴾ سورة النساء 142-145.

ليس هنالك أثم وفساد أكبر من النفاق، فالمنافق هو أشد كفراً وهو من أشرك ولكن أظهر الإيمان، أيظنون أن الله تعالى لا يعلم، بل إنه من كذب على نفسه، لذلك فإن الله تعالى توعدهم بالدرك الأسفل من النار (أقصى أنواع العذاب) إن أعمال البر وما ارتضاه الخالق سبحانه وتعالى يكون في اتباع الصدق وما يصاحب ذلك في صلاح النية في الإيمان والتقوى.

قال تعالى: ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ۝١٧٧ ﴾ سورة البقرة (177).

الله تعالى ربط التقوى وعبادته بالصدق، حتى في الصبر علي البأساء والضراء ووجب أن تصدق الله تعالى فيهما بالإخلاص لوجه الله تعالى.

اللهم للصدق أبقنا ما أحييتنا وباعد بيننا وبين كل منافق كذاب.

لقد مضى مثل الأولين وانقطع زمان الرسل، وتمت كلمة الله صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلمات الله فلا تتبعوا أهواء الناس فما اعتقدوه به ظن وهم يكذبون.

قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [سورة الأنعام 115 -117].

فبتحديد الثقافة وبيان العلم فإن الفكر يعني عملية تأليف وعملية أخرى توليف ومزج وهي عملية معقدة تشمل عناصر مادية ومعنوية وقد تكون ظاهرة أو باطنه وقد تأتي بأمور غريبة تكون في العقل الباطن ولذلك فإن الهوى قد يتضمن رغبات اللاوعي ينكرها الفرد في الظاهر، وهذه حقيقة بينة ظاهرة بعلم مجرد على كل أدعاء.

الهوى أكثر من مجرد إشارات عصبية هي توجيهه للإدراك والاستجابة في مفاهيم فردية وجماعية.

فالفكر يعتني في البداية بتأليف المدخلات وجمع المتغيرات الفكرية وتحديد نسب كل متغير من ثقافة وعلم وعوامل أخرى قد تكون ظاهرة (مثل المحفزات المادية أو المعنوية) أو قد تكون مستترة يعبر عنهما الهوى الباطن وغالباً ما تكون سلبية (آثمة) وقد تكون إيجابية ويتبع جمع وتأليف المدخلات الفكرية توليف ومزج في وحده فكرية بنائية تظل تحت تأثير الهوى المتغير.

الهوى محفز ومحرك رئيسي للفكر ومشكل بل إن الهوى يتغلب على كل قيمة أخلاقية أو علمية.

حتى المؤمن بالله لا بُدّ وأن يحب الله تعالى أكثر من أي حب آخر حب ينبع من التعظيم والإقرار بالعبودية له تعالى، وحيث إن الله

تعالى كامل في ذاته وليس له حاجه لأي شيء آخر فإنه تعالى يأمر بالصدق والعدل والإخلاص.

وأكد على ذلك في قوله الكريم حين قال: ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٠ ﴾ سورة الأعراف 29-30.

أذنب الشيطان وأصابه الكبر وعصى أمر الله تعالى فكل إنسان يعصي أمر ربه فإنه يتبع ويتخذ من إبليس ولياً من دون الله ولا يكون ذلك إلا بالخضوع لهوى النفس، أيظنون أنهم بعد ذلك مهتدون.

فالمحدد الرئيسي للإيمان هو الصدق، فإذا كان الصدق من المدخلات والمخرجات الفكرية، والتزام الفرد أو المجتمع به يعني التضحية ببعض المصالح المادية الزائلة فهل هم على استعداد لذلك.

الإيمان والإقرار بالعبودية لله تعالى هو علم اختياري، وحب الله تعالى، يقوم على موعظة وبينة في تنزيه الخالق وتمييزه بدوام القدرة والعظمة.

قال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١ ﴾ سورة آل عمران (138 -141).

والصدق والعدل هما دربان في سبيل واحد هو تقوى الله لذلك فإن العدل لا يهدي إلا إلى الحق جل جلاله.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ سورة المائدة 8.

والعدل أقرب لتقوى الله تعالى لأنه التزام النفس مع الحق علماً وفكراً وليس للهوى نصيب في ذلك، لأن ذلك من تقوى الله تعالى والالتزام للحق عز وجل علماً وفكراً.

فإذا كان التعارض بين التقوى والعلم كانت أزمة فكر.

التقوى = مفهوم اجتماعي + علم

ـ التقوى + مفهوم اجتماعي = ـ علم

لذلك كان ولا بُدّ أن تبنى التقوى على علم لا على مفهوم اجتماعي أو إرث الأجداد الذي لا يمد للواقع، فالعلم الموحى لا بُدّ أن يصدق كل حقيقة علمية بين يديه وفي واقعه قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ سورة يونس 37.

وبناءاً على ما سبق أوجب الله الاختيار بين الحق والباطل ذلك أن الخلق ليس عبثاً قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ سورة المؤمنون 115.

الله تعالى أعلمنا أن الخلق ليس عبثا، فالكل فعل ظاهر أو باطن حساب وسوف تعلمون، ولقد خلقكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل، أفحسبتم أنكم لا ترجعون لله، وأنكم لن تحاسبوا هذا حسبكم، أأنتم أعلم أم الله، أمن يخلق كمن لا يخلق! لا يستوون، ما من نعمة في نفسك وما سخر في السماوات والأرض إلا ويشهد على ذلك، لأن كل شيء يؤدي عمله في التسخير.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ

بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ سورة لقمان 20.

الله سخر ما في السماوات والأرض للإنسان وأسبغ نعمه عليه فمنها ما هو ظاهره وباطنه مثل النعم الحسية والحركية أو جميع الوسائل التي يدرك بها الإنسان البيئة ويتكيف معها ولكن كيفية التكيف والاستجابة هي النعم البينة ظاهرة وباطنة، فالعلم هو من النعم البينية، فالعلم الموحى يبين للإنسان كيفية التعرف على الحق ومن جهة أخرى يبين للإنسان سبيل تحقيق غايات الحياة أما العلوم المجردة فإنها تأتي مطابقة للعلم الموحى من نواحي حقائق الخلق ومؤيدة سبيل تسخير البيئة المحيطة، أما عن النواحي النفسية والخلقية عند الإنسان فإنها من النّعم الباطنه ومنها الشعور بالرضى والأمن كذلك فإن التداخل والتجانس بين تلك النعم واضح.

القرآن الكريم هو العلم الموحى، بيان وهدى وموعظة للمتقين، ووسيلة الإنسان للتعرف على الحق ونيل رضا الله سبحانه وتعالى أو لتحقيق هدف الحياة بالعبودية لله تعالى والتحرر من الخضوع لما سواه، القرآن الكريم هو العلم الذي لا يستقيم أمر الدنيا والدين إلا به.

لأن الإنسان إن أحسن الاختيار كان لا بد أن ينعم بما هو أهله من طمأنينة وراحة بال والأهم من ذلك عبادة الله تعالى على بينة.

لكن لمن ساء الاختيار هو الذي جحد نعم الله تعالى وألبس إيمانه بظلم، وما ظلم من أحد ولكن الظالمون كانوا أنفسهم يظلمون.

فالله الذي خلق كل شيء وسخر السماوات والأرض وما بينهما وأسبغ على الإنسان النعم، فمن أجدر منه بالعبادة؟!

أمر الله سبحانه وتعالى نافذ في الخلق، إن مثل ذلك (ولله المثل الأعلى) نظام أتقن وحدد عمله وزود بوسائل كافية تغني عما سواها فهل يعقل أن يوجد هذا النظام هباءاً.

وهل يكون ذلك بمحض الصدفة؟

أو أن يوجد ذلك النظام لنفسه وبنفسه؟

قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة الطور 35 -36.

الخلق يدل على الخالق وإبداع الخلق دل على قدرة الخالق فإذا كان الخلق في سعة العقل، كان الخالق كذلك أما إذا كان الخلق أعظم من سعة العقل فإن الخالق أعظم من ذلك.

في أي نظام أفضل من يحدد سبب وهدف وكيفيه عمل هذا النظام هو خالق هذا النظام.

كدارسين نكون أكثر دراية عن ذلك النظام في حال تحددت المدخلات والإمكانيات.

لكن والوضع استنفار للفكر إذا كان الخلق من العدم فإن الخالق هو فقط الذي يصنع الأسباب ويحدد الهدف ولا يخفى عليه شيء من الخلق حتى ما تخفي الصدور.

قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِيۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِي شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾ ﴾ [سورة سبأ 46-54].

يأمرنا الله تعالى أن نعظ الناس بفكرة هي أن تتخذ الفكر القويم

والمنهج الحق، وإخلاص النية (التجرد من الهوى)، لتتفكروا في خلق السموات والأرض وقدرته تعالى فتعلموا أن خالقها واحد لا شريك له ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ﴾ [الحديد: 16] والفسق أن تنكر الحق وتولي الهوى عليه.

ما أتى به النبي ليس بجِنّة ولا سحر، لو كان كذلك لبطل من زمن بعيد بل هو الحق من علّام الغيوب، والحق أجدر أن يتبع هو أجدر وأنفع لكم ما سئل عليه من أجر فإذا ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فإنه بما أوحي ربي إنه سميع قريب.

فلا إيمان وتوبة تنفع بعد فوات الأوان وانقطاع الرجوع إلى الدنيا (المكان القريب) بعد أن حيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم (تابعيهم)، لقد كانوا في شك منه مريب.

الفكـــرة:

هي النشاط العقلي الذي حدد زماناً ومكاناً وعين المجال والموضوع. وتعيين النشاط العقلي زماناً ومكاناً يلزم ارتباط الفكر بزمان ومكان محدد بموضوع معين وظروف محفزة لظهور هذه الفكرة وقد توجد ظروف أخرى تساعد في استمرار الفكرة كما قد توجد ظروف تحد من استمرار عمل الفكرة.

وتبعاً لذلك فإن الفكرة هي وحدة جزئية من الفكر تخص أمراً محدداً خلال فترة زمنية معينة ومكان محدد وبالتالي تتأثر بنفس العوامل التي تؤثر على الفكر أي العلم والثقافة حيث تصنف وفق نسب توليف معينة في معيار متغير هو الهوى ولكن لتشابه الوحدة العضوية فإنه يصعب التفريق والتميز بين الفكر والفكرة.

ومثال ذلك أن النظام الرأسمالي في البلاد الغربية ليس سواء فالنظام الرأسمالي في الولايات المتحدة يختلف عن النظام الرأسمالي في

بريطانيا وهو أكثر تشابه عن الاختلافات التي توجد في الدول الأوروبية الأخرى ويزيد هذا الاختلاف في النظم الرأسمالية الموجودة في الدول الشرقية والنامية.

وذلك لاختلاف الظروف الزمنية والمكانية والفكرية ما يعنيه ذلك من اختلاف في الأهواء والعلم والثقافة.

وهذا المعيار أكثر تميزاً وتحديداً في الفكرة من الفكر خاصة عند الفرد هو أكثر عرضة لتغير في الفترات الزمنية الطويلة كذلك فإن الهوى أكثر تحديداً حيث تكون هناك ميزات ذاتيه وخصائص خارجية تحدد الأهواء وتؤثر فيها مباشرةً كما في المثل السابق.

فالمحددات الذاتية هي في التشابه الوراثي البشرى والحياة على الأرض وأكثر ارتباط بالجينات الوراثية والتي هي أكثر تشابهاً في العائلة من القبيلة كذلك يزيد ذلك من درجة الشبهة بين الأفراد في الأهواء وغالباً من خلال العادات والتقاليد وحتى الحركات والأفعال، بما في ذلك الحركات الإرادية والغير إرادية فالتشابه يعزى للتركيب الجيني في الخلايا العصبية يزيد كلما كانت القرابة أقوى وتأخذ هذه المحددات الصفة الأزمية في التأثير على الفكر والأمر يخضع لدراسات عديدة.

بالإضافة إلى ذلك فإن الفكرة أوضح وأكثر تأثيراً عند الأفراد فإن الأفكار الفردية كانت أكثر تأثيراً على البشرية سواء كانت أفكاراً سلبيه أو إيجابية.

فمعظم الأفكار التي كان لها تأثير على البشرية ارتبطت بفكر أفراد غالباً ماصاغوا أفكارهم لمواجهة الفكر التقليدي السائد والذي كان معوق رئيسي للتنمية الفكرية والعلمية.

ذلك أن الفكر السلبي يزداد تطرفاً إذا كان الهوى يقوم على أمر غير واقعي أو نشأ نتيجة كذب وافتراء فالفكر السلبي يتناسب طردياً مع الهوى.

ولكن تبعاً لسنة الله تعالى في خلقة "التدافع بين الناس" ذلك أن الفكر السلبي يكون محرضاً شديداً للأفكار الأخرى المخالفة للبديعين

لتدفع في إنجاز أهداف ايجابية ولولا وجود الفكر السلبي لما كان من الضروري ظهور فكر إيجابي مخالف.

كما في الفكر فإن الفكرة ترتبط وتتحدد بقوة بالأهواء بل هي أكثر ارتباطاً ولذلك هي أكثر ارتباطاً بالحافز المادي والمعنوي، والحافز المادي يرتبط بالشهوات أما الحافز المعنوي في الغالب ما يتم استغلاله مادياً وتسخيره لأهداف أخرى اقتصادية.

قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ آل عمران 14.

حب الشهوات هي طبيعة بشرية وليس حدث عارض لا ينكرها إلا كاذب أو من لا عقل له ولكن تحقيق هذه الشهوات يتطلب الالتزام بالصدق والأمانة وتعظيم الصالحات لله تعالى ذلك أن الفعل السيئ والمنحرف لن يرجع على صاحبه إلا بالأسوأ في حاضرة أو غائبة.

ويتم تغيب الحافز المعنوي (مذهبي)، لأن أغلب المناهج الفكرية، هي مناهج منفية حتى وإن ادعوا غير ذلك فإن الواقع يصحح ما فيه التباس.

فالحافز المعنوي مغيب، على الأقل عملياً، أو الأضعف تأثيراً على الفكر البشري بشكل عام لأن الناس تحكم على ضلاله وهواه.

فأغلب المناهج الفكرية منفعية خالصة، تسعى لتحقيق الأهداف والغايات باستغلال جميع الوسائل "فالغاية تبرر الوسيلة" هي نظرة مادية بحتة تستغل الوسائل المتوفرة لتحقيق هدف أغلى أو أكثر جدوى دون مراعاة لحقوق الناس، هي منطلقات الفكر البشري. ذلك لأن العامل الروحي (المعنوي) ضعيف من النواحي العملية أو يستمد من مصالح ناس آخرين، دعوا إليه دون علم، العامل الروحي (المعنوي) لا بُدّ أن

يقوم على فكر ظاهر ببيان العلم الذي يستمد من الحق جل جلاله وعلمه الأزلي بيان سبل الحق.

قال تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ١٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦ ﴾ الرعد (14 -16).

الله سبحانه وتعالى له دعوة الحق(التوحيد) وإذا دعوا غيره لن يستجيب لهم، فحاجة الإنسان ملحة، لا بُدّ أن يتعرف إلى ما تتوق إليه نفسه؟ ما الذي يقر البصيرة والاتزان في الخلق؟

وكيف يعلل ذلك الوجود الإجباري، ليفصل ذلك في الفكر الاختياري.

فالإنسان جاء إلى الدنيا، بالتعين الجماعة والعائلة لازم أي أنه ليس له الاختيار في ذلك، ولكن يفصل بين الخير والشر وبين الحق والباطل اختيارياً، ولذلك فإن حاجة التميز ضرورية.

ومثال ذلك أن نقول:

فحاجة الإنسان للماء كباسط كفيه لن تبلغ فاه إلا ليقبض على الماء، فالقابض على الماء تكون يده خاوية، ولن يبلغ فاه منه شيء، ولن يسد رغبة في التعرف على الحق جل جلاله إذا كانت دعوة في غير محلها، فكذلك لمن دعى لهوى على الباطل.

إن الاقتناع بالإيمان استجابة للهوى الباطل كمن علق في جو

السماء دون سبب وملائه فعند أضعف سبب خر من السماء في مكان سحيق ومن لم يجعل الله له نور فما له من هاد.

فمن كذب على نفسه واقتنع ذاتياً أنه مؤمن ولم يقابل ذلك تصديق فكرى وعلمي فإن دعواه على الباطل، فالإيمان لا يقوم على كذب ولو رغبتم بذلك.

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ فاطر (8).

هم أصحاب الأهواء والبدع إن مادعوه إليه هو الباطل فلا يقوم إيمان على هوى، وإن كان لهم في ذلك سطو عظيم، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فإن الله عليم بما يصنعون.

تصنف الفكرة ضمن ثلاث مفاهيم هي:

1- الأسلوب 2- التصور 3- المفهوم.

أ) **الأسلوب والسلوك البشرى:**

استجابة فكرية لإدراك مؤثر ما أو تحديد الوسائل المادية والفكرية لتحقيق هدف ما وقد يتضمن ذلك وسائل حركية بل قد تكون تلك الاستجابه باطنه، فرغبة الإنسان للمعرفة والعلم تدفعه للتعلم والاطلاع، أو هي أسلوب لإحداث تغيير في البيئة الخارجية المحيطة.

الإنسان يملك حق اختيار المنهج المناسب فالخرافات والأساطير لا توحي إلا بالكذب والانحرافات يكون لها أثر سلبي على الأفراد لأن السلوك البشري انعكاس دقيق للمستوى الفكري والحضاري والنفسي للأفراد والجماعات الإنسانية.

قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ

أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل (125).

الحكمة: هي تطبيق العلم على الفكر والواقع والموعظة هي الدعوة للالتزام بالأفضل في السلوك والمعاملة فالمجادلة بالحجة البليغة والقول الثابت (الصادق).

ب) **التصور والمشاهدة:**

الإشارات العصبية التي تصدر عن العين لمنظر مرئي يتم ترجمتها في المخ هو ما يعرف "بعين اليقين" أي أن هذا المنظر يقيني مشاهد ولا مجال للريب فيه هو علم ثابت مجرد أو حقيقة علمية مشاهدة.

بينما الإشارة العصبية التي تصدر عن الفكر لرسم تصور فكري تخيلي فإنها فكرة لها مدخلات فكرية معينة هي مجموعة جزئية من الفكر تحدد وتثبت بأهواء الأفراد.

والاختلاف الناشئ عن التصور التخيلي والمنظر مشاهد يوجب تصحيح فكري، وما يترتب على ذلك الفكر من نتائج، حالي عاجل، لأن دون ذلك يخلق أزمة فكرية وأزمات أخرى تابعة ويسفر كل ذلك عن تخلف فكري عظيم.

وإذا كان عين اليقين هو الحقيقة العلمية، فإن علم اليقين هي الجزء المكمل للعلوم أو العلم الموحى ليذكرُ علم الخلق والمنهج الخلقي والسلوكي للإنسان ومثل وعبرة على الذين مضوا من قبل وآية للمتقين.

ومثل على ذلك:

قال تعالى: ﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ

وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾ يونس (90-97.

في الآيات الكريمة قصة تصور بني إسرائيل عند خروجهم من مصر فتبعهم فرعون بجنوده بغياً وعدواناً على الحق فلما أدرك فرعون الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الله - ما آمنت به بنو إسرائيل - ولكنه تعالى يجيبه "آلْآنَ" وقد عصيت من قبل وكنت من المفسدين - إذ رأيت العذاب آمنت - والله تعالى أبقاه ببدنه آية للناس الذين سيأتون من بعده (عبرة وعظة).

فالآية (92) في السورة تشير إلى حفظ البدن "الجسد لا روح فيه" وكانت هذه الإشارة عند نزول القرآن الكريم قبل ما يزيد على 1300 سنة وهذا ما أكدته الاكتشافات المعاصرة.

فبعد دراسة مكثفة يقول "موريس بوكاي": إنه من أنصار وجهة النظر القائلة أن مرتينتباخ Merneptah خليفة رمسيس الثاني Ramses 2 كان فرعون موسى.

والقرآن الكريم لم يحدد هوية فرعون حيث إن اللقب كان يطلق على عموم حكام مصر القديمة.

هذا العلم الذي أخبر عنه القرآن الكريم قبل توصل الإنسان للتعرف على "المومياء" هو علم اليقين. هو صورة من صور إعجاز البيان. ورغم ذلك إلا أن كثيراً من الناس لا تزال غافلة عن آيات الله العظام، حتى بني إسرائيل الذين اختارهم الله لموقع صدق في الرسالة ورزقهم من

الطيبات إلا أنهم اختلفوا بعد ماجاءهم العلم، إن الله تعالى يقضي بينهم في اختلافهم بعلمه.

وحيث إن نسق الفكر تتداخل في ما بينها بل إنها تشكل شبكة متداخلة من العوامل النفسية والفكرية تؤثر في حياة الجماعات والأفراد.

فكثير ما يتم تبادل الأدوار بين أغلب المدخلات والمخرجات الفكرية.

الفكر = الهوى (الثقافة + العلم)

مفهوم = تصور

مفهوم = سلوك

تصور= سلوك

ومثال على ذلك:

لقد كذبوا على الحق جل جلاله واعتقدوا في ما ليس منه فشوهوا الاعتقاد "المفهوم" فكان ألا له لهم عاجز لا يصمد أمام حوادث الدهر، فكيف به يسير الزمان والمكان هم رغبوها عقيدة منحرفة عوجاء حتى تلبي أهواءهم فما الذي يلزمهم بأمر أعوج وكيف تقوم قيمهم وأخلاقهم على عقيدة عوجاء.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ آل عمران (68 - 71).

لقد زعموا أن الله تعالى خلق الإنسان على شكله أو مثل صورته تعالى وأنه استراح في اليوم السابع وأنه تعالى اتخذ صاحبة وولداً وكل هذه الانحرافات وغيرها الكثير في كتبهم المحرفة لم يكن لها إلا آثار سلبيه على الفكر واختلاف كبير فالله تعالى خالق صمد لا يخضع للمفاهيم والتصورات الإنسانية والتي هي عرضة للتغير حسب الزمان

والمكان مقيدة بالحياة الدنيا دار الفناء والبلاء.

يا أيها الناس لا تضربوا لله الأمثال أنتم لن تخلقوا ذباباً وإن سلبكم الذباب شيئاً لن تستطيعوا أن تعيدوه.

فكيف تحيطوا علماً بخالق جبار (سبحانه) خلق الإنسان والجبال والكواكب والمجرات وما لا تعلمون أعظم، هو تعالى في ذاته وقدرته أعظم من كل شيء ومن كل ما خطر في بالكم.

فالاعتقاد الذي قام على الكذب والباطل يحرض الإنسان على الكذب، كيف وقد كذب على الله تعالى أو اعتقد به تعالى باطلاً وما ليس منه.

فأولى بالإنسان أن لا يكذب على نفسه ولا على الله ﴿ عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾ بل عليه أن يتحرى في كل أمر ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِى ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

المفهوم:

استيعاب واستدراك عمل تفصيلي وشمولي لنظام أو فعل ما هو الاعتقاد والذي يعبر به الناس عن قناعات فكرية.

النظام الرأسمالي الذي يقوم على حرية الفرد الاقتصادية، هي مقيدة بالنفوذ، ويتبع ذلك المجالات الاجتماعية الأخرى.

ألا إن هذا النظام يكون أكثر تعصباً، خاصة عندما يتعلق الأمر بالنفوذ، مع أي نظام آخر قد يضر في مصالحه ونفوذه هو المفهوم التقليدي للوصول إلى النفوذ " الغاية تبرر الوسيلة ".

كذلك المفهوم هو دراسة جزئية من الفكر وكل تفسير يُعنى بالسبب هو دراسة فلسفية أما الدراسة التي تُعنى بالكيف فهي دراسة علمية.

الدراسة الفلسفية والعلمية:

الدراسة أو التحليل الفلسفي أو ما يُعنى بالسبب، فلكل شيء

سبب ولكل خلق خالق وحيث ذلك فلا بُدّ من خالق صمد هو خالق كل شيء.

فالكل مخلوق بداية ونهاية لذلك هو مخلوق، فلا يوجد مخلوق إلا وله بداية ونهاية.

فالمخاليق سلسلة من الخلق، خلق من بعد خلق، وتبدأ من خلق أول، وحيث كل شيء نراه، مباشرة وغير مباشرة، هو مخلوق فإن الأول الذي وجد قبل أي خلق هو الخالق الصمد يخالف في ذاته ذات كل مخلوق أي ليس له بداية أو نهاية.

ولأنه سبحانه وتعالى في ذاته أعظم عن كل مخلوق كان لا بُدّ أن يعرف من خلقه خاصة وبالنسبة لمن كان في موقع الاستخلاف.

وليس هناك من سبيل للتعرف على الحق جل جلاله إلا عن طريق الرسل، وبانقطاع الرسل حفظ العلم الموحى، في القرآن الكريم، هو سبيل الحق جل جلاله وكلامه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٢ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥ ﴾ [الحجر (9-15)].

سواء لاختلاف الكثافات أو لانتشار الخلايا المتأينة في الغلاف الجوي أو لتقاطع المجالات المغناطيسية بين الأرض والشمس فإن ضوء الشمس ينتشر فقط في الغلاف الجوى المحيط بالأرض ولذلك فإن قدرة الإنسان على الإبصار تفقد تدريجياً خلال عروجه في السماء أو في هذا الغلاف حتى يصل لمرحلة تصبح الشمس خارج الغلاف الجوى تبدو كأي نجم آخر وتشابه قول رواد الفضاء بقول الله تعالى " إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ " كذلك الله تعالى أنزل العلم

الموحى"القرآن الكريم" وتكفل بحفظه، ولكن الناس تحكم بأهوائها، كما كذب السابقون رسلهم واستهزءوا بهم، فإنهم يكذبون القرآن ألم يروا قدرة الله تعالى في حفظ هذا الكتاب العظيم.

كذلك الله سلكه في قلوبهم ليس لأنه غير بَيّن ولكنَّ أهواءهم ليست مع الحق أو لأن نيتهم خبيثة، كذلك الدراسة الفلسفية تهتم بالسبب، فعدم قدرتهم أدراك آيات الله، سببه الهوى الذي سيطر عليهم فساء مايحكمون، لأن الحكم ناتج عن الفكر، والفكر فاسد بالهوى.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ الأنعام (124-126).

لكل جماعة فئة مسيطرة "مترفين" مستفيدون من استمرار الواضع الحالي والمتواتر، ويزيد وضع هذه المجموعات فساداً وإصراراً على الانحراف مع تفشى الفساد في تلك المجتمعات.

فإذا تليت آيات الله والبينات لهذه الشرذمة المسيطرة أو الذين تزعموا الانحراف يقولون أتهدينا هذه الآيات بل لن نؤمن حتى يأتينا مثل ما أوتى رسل الله.

الله أعلم حيث يبعث رسله وحيث يرسل ويحفظ، بالقول الثابت، آيات بينات، وعلمه تعالى أحاط بكل شيء هو أعلم بهم من أنفسهم ويعلم كيف يحكمون وكيف يمكرون وسيصيبهم ذل عظيم لنكرانهم الحق.

فكل ما في الأمر إنهم إن بحثوا عن الحق والعدل بنية صادقة تشرح صدورهم للإسلام، وشرح الصدر نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وانشرح صدره ومن أراد الباطل والكذب وفي ذلك ظلم للنفس يجعل قلبه ضيقاً حتى لا يدخله الإيمان، ولا يصل إليه شيء من الخير.

ذلك الإنسان كلما زاد تعلقاً بالباطل والفساد أزداد ذلاً وعبودية لذلك الباطل، كذلك الإنسان الذي يستنشق الأكسجين، والذي يوجد في طبقات الجو الدنيا بنسبة أكبر من الطبقات العليا.

لذلك تقل قدرة الإنسان على التنفس كلما صعد في الجو حتى يفقد تلك القدرة وكذلك الدراسة العلمية.

النظرية الفكرية والنظرية العلمية:

النظرية هي مجموعة فكرية موقع الاعتبار وتحديد للمدخلات والمخرجات وفق سلسلة من العمليات والتطبيقات المحددة، ونسبة إلى النظرية فإن المدخات الخاضعة لمتغيرات خارجية أو داخلية تؤدي إلى مخرجات ونتائج معينة نسبياً. فإذا ما حددت العملية التفاعلية وأدت إلى مخرجات ثابتة فإن هذه النظرية تصبح لها قوة القانون الإلزامية ولذلك فهي قانون. ومن ذلك قوانين الحركة لنيوتن. وفي القانون الثالث فإن:

"لكل فعل ردت فعل مساوي له في المقدار ومضاد له في الاتجاه".

لهذا القانون قوة إلزامية لأي جسم متحرك ولكن عند تطبيق هذا القانون على السلوك والحياة البشرية فإن البيئة والمؤثرات الداخلية والخارجية للإنسان يمكن أن يكون لها تأثيرات مختلفة على النفسيات والسلوك البشري ويعزي ذلك الاختلاف إلى عدة عوامل تعود لاختلاف المدخلات الفكرية والمتغيرات المحددة الرئيسية للفكر ألا وهو الهوى.

وبالتالي فإن جميع المخرجات الفكرية وما يتضمن ذلك في فعاليات إنسانية تختلف من فرد إلى آخر.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ

جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة (15-16)].

الله تعالى يخاطب أهل الكتاب، أنه سبحانه أرسل نبيه بالكتاب الذي بَيَّن كثيراً من الأمور التي أخفيتموها من كتبكم، وأموراً أخرى ادعيتموها على الله تعالى كذباً ويعفو الله من الكذب الذي ادعيتموه عليه باطلاً، لا يعفو عن الكذب الذي افتريتموه على الله إلا هو سبحانه.

هو كتاب وعلم من الله يهدي به من اتبع برغبة الحق والعدل، وحسن نية، رغبة في الحق جلاله.

ذلك أن الفكر =[الهوى (الرغبة)] * [الثقافة + العلم]

إذن لن تبلغ سبل الهداية لله تعالى إلا عندما تكون عندك رغبة صادقة في الصدق والعدل وتنأى عن كل فاجر كاذب يمكن أن يروغ بالفكر لاتباع الهوى، ومايعنيه ذلك من إخلاص النية للحق جل جلاله.

قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص 29].

أيجعل الله الذين آمنوا وصدقوا وعملوا الصالحات كالذين اعتادوا الكذب فكانوا فاسدين، أتتجاهلون ذلك أن الله أنزل القرآن لتتدبروا آياته وذكرى للألباب.

الفكر يتناسب عكسياً مع الهوى ذلك لأن الهوى يحد (يعطل) الفكر وهو التعصب الذي يوقف الفكر (حسب تعريف جان جاك رسو هو "النظرة الأحادية").

سبل السلام: هي الصدق والعدل، قال تعالى: ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتۡ

كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ الأنعام (114-116).

وليستمع ويعيي إلى كتاب الله الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوا أهوائهم ويقترفوا من الإثم ما هم مقترفون.

ارتضى غير الله حكماً؟! وهو الذي أنزل الكتاب مفصلاً، فأهل الكتاب يعلمون أن القرآن منزل من الله تعالى، ولكن حينما ارتضوا الهوى غاب عنهم الحق والعدل، ولقد تمت كلمت ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته، لا راد لقضائه ولا مغير لحكمه، لأن ما قلتم به (في الكتب المحرفة) لن يبدل أو يغير كلمته وكفى به حكماً وهو سميع عليم، وإن أطعتم أكثر من في الأرض يضلوكم أن يتبعون إلا الظن وإنهم لكاذبون.

هي حقيقة فكرية بينة ولكن قامت على نظرية علمية فما قام على عدل وصدق وإخلاص كانت نتائجه سلام وحق فالقرآن كتاب أنزله الله تعالى ولن تتدبروا آيته إلا عندما تصدق نفسك والآخرين من صدق الله صدق نفسه هداه الله للحق ومن كذب الله كذب على نفسه أو ادعى بباطل.

ومن دعى بصدق تعرف على الخالق جل جلاله الحق وتعرف على ما عجزت كافة العلوم المجردة عن التعرف عليه، إنه علم الكتاب والقرآن المجيد.

ذلك أن ما قام على الكذب والظلم لا يؤدي إلا إلى الظلم والباطل، حتى وإن ادعيتم الإيمان فمن لم يصدق النية هو منافق، كذلك النظرية العلمية هي حقيقة إذا تحدد فيهما المداخلات والمخرجات.

ولذلك كله فإن العقيدة لا بُدّ وأن تقوم على علم وحقيقة لا تقوم على أهواء وارث ليس له من الحق شيء، هو العلم الذي لا يتعارض مع الحقائق والمسلمات الفكرية في الواقع (بين يديه).

هي فكر سليم للتعرف على الحق جل جلاله وعبادته كما ارتضى لأن ذلك من تقوى القلوب وذلك لوجه الله تعالى وتقرباً منه.

وتأكيداً على الحق والعدل من سبب الخلق والغاية منه.

قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ المؤمنون(68-71).

إن علوم السموات والأرض حقائق بينه تتعارض مع الانحرافات والأساطير وهي علم وليست أهواءاً وافتراءات.

حيث قامت مذاهب الناس على الباطل وحينها يلجئون إلى الاستخفاف بالناس حتى وإن أقنعوا أنفسهم بالكذب، فكل شيء مستباح ما دام ذلك يحقق منافعهم وما استهوته أنفسهم وفي ذلك ظلم النفس والغير، إن النظرية الفكرية السليمة هي تلك الأفكار التي تطابق الواقع وتتحقق علمياً.

فالعدل أجدر بالاتباع وإن خالف ما تهوى. فالفشل والانحراف (الفكري الشامل) جزاء من اتخذ الكذب ملجأ، فالحق جل جلاله خلق السموات والأرض وخص ذلك بالذكر العظيم وفي ذلك عبرة وموعظة لعلهم يتذكرون.

كذلك فإن صياغة الفكر البشري ضمن معادلة تعطي نظرية لتحديد ماهية هذا الفكر وطريق تفكيره.

الفكر = الهوى (الثقافة + العلم)

الفكر = (الهوى * الثقافة) + (الهوى * العلم)

الفكر - (الهوى * الثقافة) = العلم

-الفكر + (الهوى * الثقافة) = - (العلم * 1) الهوى ثابت مع العلم

فكر سلبي ⨯ تعصب الثقافة — **فكر سلبي يتناسب طرديًا مع تعصب الثقافة**

فكر سلبي ⨯ - العلم — **فكر سلبي يتناسب عكسياً مع العلم**

تعصب الثقافة ⨯ - العلم — **تعصب الثقافة يتناسب عكسياً مع العلم**

الفكر ≠ صفر الهوى ≠ صفر الثقافة ≠ صفر

العلم الموحى: ع1 العلم المجرد: ع2 الهوى: هـ

العلم = ع1 + ع2

ع = ± 1 ع ≠ صفر

العلم : ع1 + ع2 = 1

ع1 + ع2 = -1 أزمة فكرية

هـ (ع) = ± 1 وذلك عند تحديد العلم إذا تأثر بالهوى فإن الفكر يكون: -

الحالة الأولى: -

هـ = ع / 1 قاعدة عامة هوى يتناسب عكسياً مع العلم (نتيجة محددة) "إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي

ع = هـ/ 1 علم يتناسب عكسياً مع الهوى (نتيجة محددة)

الحالة الثانية: -

هـ = - ع / 1 هـ ← ع فكر سلبي (نتيجة محددة) الهوى يحدد العلم

ع = - هـ/ 1 ع ← هـ فكر سلبي (نتيجة محددة) الهوى يحدد العلم

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجاثية: 23]، كذلك قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان: 43 - 44].

(أرءيت، أفرءيت) أفعال مضارعة تفيد التعقيب على الذي فضّل الباطل على الحق تحت تأثير الهوى، فإن التعرف على الإله الحق ذلك هو هدف الحياة، ولذلك خلق الله الإنس والجن لعبادته تعالى كما ارتضى، وأنزل العلم الموحى (القرآن الكريم) وهو علم اليقين واتباع ذلك هو النهج السليم والصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم.

لكن أن تعرف الإله من خلال المنفعة والعلم المحرَّف والأعوج "أتبغونها عوجا"؟! وهذا هو نهج الفكر السلبي ونهج المغضوب عليهم والضالين.

الحقيقة:

هي الحادثة أو الظاهرة المتحققة زماناً ومكاناً، نظرياً أو مخبرياً. فإذا كانت مشاهدة بالعين المجردة أو بالأدوات النظرية المساعدة فإنها

حقيقة مشاهدة معينة الزمان والمكان وهى حقيقة مخبرية أو تجريبيه إذا أمكن التأكد منها تجريبياً أو مخبرياً وبتعيين الزمان والمكان تعرف الحقيقة، ولذلك ارتبطت الحقيقة بالمجال المنظور من الكون، فهو المجال الذي عرف مكانياً وزمانياً.

والحقائق التاريخية تعرف بالآثار والعلم والتعين زماناً ومكاناً، فإذا لم يكن كذلك فقد تمتزج مع القصص الخرافية والأساطير وغالباً ما يركز عليها أصحاب المذاهب والعقائد المحرفة والمبتدعة، فهي ملجأهم عندما يعجزون عن الواقع، كذلك عندما تعجز قصصهم عن مسايرة العقل والمنطق.

لا تعرف الحقيقة حتى تعين زماناً ومكاناً، فالجاذبية حقيقة علمية ثابتة هي قوة الجذب التي تربط المواد والأجسام بعضهما ببعض، وهى حقيقة مشاهدة في السماء الدنيا "الكون" وهي قوة الجذب لجسم سقط حراً نحو الأرض أو ما يعرف بالجاذبية الأرضية وبين الأجرام والمجرات السماوية فالجاذبية في السماء الدنيا ترتبط بعملية الفتق "الفصل" وحركة المواد الصلبة، فلولا هذه الجاذبية النسبية لتطاير الكون أشلاء.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنبياء (30).

والفتق انفصال متعاقب، والفتق في الكتلة الكونية (السماء الدنيا) هي تقنية منظمة ومرتبة لانفصال المواد الصلبة وزيادة في الحجم والكتلة وذلك يلازم تضخم السماء (الكون) فهي البناء الذي يحمل المواد الصلبة (الأرض)، فالسماء الدنيا تشبه الهيكل الضخم الذي يحمل أجزاء الأرض (المواد الصلبة من مجرات ونجوم) على أجزائه المتضخمة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىٍ۟ دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الذاريات (47).

وتضخم السماء ضرورة لازمة لأعداد المجرات والنجوم التي تتزايد باضطراد، فالفتق والانقسامات الجزئية والتضخم والجاذبية النسبية في السماء الدنيا تدل على آلية منظمة محكمة التخطيط والتنفيذ.

والجاذبية النسبية تعنى اختلاف نسبة توسع السماء الدنيا، وبناءاً على ذلك اختلاف التجاذب بين أجزاء هذه السماء.

فالجاذبية بين المواد الصلبة بين الأبراج في كتلة السماء الدنيا تكون مختلفة عن قوة التجاذب بين المجموعات المجرية في البرج الواحد كذلك هي تختلف عن قوة التجاذب بين المجموعة المجرية الواحدة المكونة للبروج، ومن أمثلة ذلك المجموعة المحلية (local Group) والتي من ضمنها مجرة درب التبانة ومجرة اندروميديا وتتألف من ثلاثين مجرة وبسبب هذا الاختلاف في الجاذبية فإن الكون يتوسع.

في حين أن قوة التجاذب بين المجموعات النجمية في المجرة الواحدة تختلف عن الجاذبية التي تربط مجموعات نجمية جزئية واحدة توجد داخل المجرة، ففي أجزاء المجرة الواحدة توجد جاذبية بين النجوم المكونة لها.

فالجاذبية التي تجمع المجموعة النجمية في مجرة درب التبانة والتي تحوي من بليونين إلى ثلاثة بلايين نجم تختلف عن الجاذبية التي تجمع عدة نجوم مع بعضها ومن أمثال ذلك مجموعة الثريا والتي تتكون من سبع نجوم ترتبط فيما بينها بقوة جذب.

وكل ذلك الترتيب فإن الجاذبية بين المجموعة الشمسية والتي تتكون من (10-11) كوكب وهي تجري ضمن عشرة مدارات تأخذ مسارات دائرية وشبه دائرية حول الشمس.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ المؤمنون 17.

في النظريات العلمية السابقة هي فرضيات وأفكار علمية بينة أقرب إلى الحقيقة الثابتة تتأكد من الجاذبية بين الأرض والقمر والتي تأخذ أبعاد مختلفة تؤثر في قوة الجذب بينهما والتي تؤثر على أوضاعهما الكلية.

وللقمر دور فعال للحياة على سطح الأرض، فالقمر يقع على مسافة 240 ألف ميل ويعكس ضوء الشمس ويتحرك ضمن حركتي

دوران متزامنتين، فهو يدور حول محوره مرة كل 27. 3 يوماً ويدور حول الأرض مستغرقاً نفس الزمن في حركة مدارية.

ويؤثر القمر على الأرض خلال حركته المدارية، فقوتا الجذب والطرد المركزي والتي لها تأثير واضح على سطح الأرض (المد والجزر في البحار) تؤثر حتى على حركتي الأرض حول نفسها وحول الشمس.

فبناءاً على القوانين الفيزيائية (قانون الجاذبية لنيوتن) فإن الجاذبية بين جرمين سماويين تؤثر بشكليهما (حركتيهما) حتى لو كانت مادتهما صلبة.

فإذا اقترب جسم صغير من جسم كبير فإن قوة جذب تحدث ويكون ذلك واضحاً في البحار والمحيطات ويعرف ذلك بحركة المد، وتكون نتيجة لقوة الجذب بين الأرض والقمر، وحتى المادة الصلبة يحدث لها نفس المد نسبياً وتحرر طاقة حرارية من طاقة المد تلجم "تسوي" حركة الأرض والقمر، فتظل الأرض حول الشمس ثابتة، وجميع كواكب المجموعة الشمسية تحوي أقماراً، ولكن عطارد والزهرة ليس لها أقمار نتيجة لقربهما من الشمس، ويبعد القمر بمقدار ثلاث سنتمترات في العام عن الأرض وكانت الأرض بفعل الطاقة الحرارية المبددة لقوة المد تدور حول نفسها منذ ملايين السنين بسرعة تفوق تدويرها الحالي، ولذلك تشير الدراسات إلى أن اليوم والعام على سطح الأرض اختلف قبل أربعمائة مليون سنة، فاليوم كان 21 ساعة بينما كان العام أربعمائة يوماً، ويدعم هذه الدراسات الاستنتاج أن المسافة بين الأرض والشمس كانت وستظل ثابتة.

قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾ إبراهيم (33).

فالأرض تتخذ هذه الحركة بتعاقب الليل والنهار، والشمس كذلك تدور حول نفسها وتدور مع الذراع الحلزوني حول مركز المجرة ((درب التبانة))، والقمر يدور حول نفسه وحول الأرض وحيث إن دوران القمر حول نفسه يتزامن مع دورانه حول الأرض " بالإضافة إلى ميل

القمر حول محوره " فإن الجزء المرئي للقمر يكون 59% أما الجزء الآخر والذي يمثل 41 % فإنه لا يرى أبداً.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأنبياء 33.

وحركة السباحة في الآية الكريمة هي حركة مركبة تفيد الحركة حول المحور والدوران حول النفس وحركة أخرى حول المركز وهذه الحركات المنتظمة تكون في سيطرة قوة الجاذبية.

الحق جل جلاله:

الله تعالى هو الحق جل جلاله، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، الآخر الذي ليس بعده شيء، الحي الذي لا يموت، الباقي الذي لا ابتداء ولا نهاية لوجوده، الواحد الذي لا ند ولا شبه له، الأحد الذي لا شريك له، الفرد الذي لا ضد له، الصمد الذي لا منازع له، الغني الذي لا حاجة له، القادر الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا راد لحكمه، ولا معقب لقضائه، مدبر الأمر، الملك مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، الوارث لجميع مخلوقاته ببقائه الأزلي الأبدي، العلي القدير الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا في أنفسكم، تبارك في شأنه وذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

يا قوي ما أعظم سلطانك يا عدل لا عدل إلا عدلك ولا حق إلا بك اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أو إلى قريب ملكته أمري إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك.

وعند بدء خلق السماوات والأرض كانت كتلة واحدة، خلقت من العدم بأمر الله تعالى خلقها وما بينهما في ستة أيام كانتا رتقاً

(متلاحمتين) وفصل بينهما (أفمن يخلق كمن لا يخلق) هو كذلك أول الخلق المرئي في السماء والأرض لأنه خلق من العدم بأمر الله، وبالهيئة التي أرادها بنفخة أو غيرها، ولذلك أيضاً وجب أن يكون الخلق حادث، والحادث يعني أنه غير أزلي، وتأكيداً على ذلك وجب أن يكون الخالق فرد صمد فذاته تعالى تخالف ذات المخلوق الحادثة، ولا يخضع لتغيرات الزمان والمكان الحادثة فكل شيء مخلوق والله تعالى هو الخالق الصمد.

فالخالق الحق جل جلاله موجود سواء وجد الخلق أو لم يوجد، بينما لا وجود للخلق إلا بالخالق، فالخالق لازم الوجود، حتى العلم والعقل لا يستقيم إلا بوجود الخالق الصمد، هو الأول الذي ليس قبله شيء، وقدرة الخالق لا تكون إلا في خالق واحد فرد صمد، ولو كان معه إله لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض، سبحان الله عما يصفون.

إن الآلية التي خصت استمرارية الحياة في السماوات والأرض هي الفتق وتوسع السماء كل بقدر وكمية ثابتة، ولولا ذلك لما استقام أمر الخلق، وذلك بتقدير العزيز العليم.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ ﴾ الأنبياء (30).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧ ﴾ الذاريات (47).

لكل شيء إذا ما تم نقصان، فما من شيء له بداية إلا وله نهاية هي سنة الله تعالى في خلقه، فما من شيء تشاهدونه بأعينكم إلا وقد علمتم أن ذلك الشيء زائل، والحق جل جلاله ليس كمثله شيء، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، فما من شيء ظهر

بسبب الخلق، حادث الخلق، أو من خلاله إلا زال أو سيزول بانقضاء الخلق، أو حادث الخلق، كل شيء هالك إلا وجهه، الله تعالى هو الخالق، خلق كل شيء وأعطى لكل شيء سبباً وأمراً، بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولا يحتاج لهما وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ القصص (85 - 88).

الله الحي الباقي الآخر، أقسم بعظمة كلامه الأزلي الذي فرضه على الإنسان فيه بيان العلم ليتعرف على ربه الحق جل جلاله وشريعته ومنهاجه لبلوغ سبل الحق والعدل، فإذا كان رجاء(هدف) الإنسان هو الصدق والحق فالله تعالى أعلم بالسبل إلى ذلك، ويعلم من هو في ضلال مبين، فلا تزكوا أنفسكم الله أعلم بمن أتقي.

في هذا الكتاب رحمة فلا تصدوا عنه عوناً للكافرين والمنكرين للحق، ولا تضلوا عن الحق باتباع سبيل المشركين الذين اتخذوا مع الله إله آخر باتباع أهوائهم والباطل الذي في نفوس المرتابين.

لا إله إلا الله كل شيء زائل (هالك) ويبقى سبحانه في ذاته وجلاله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب، فبعد انقضاء الخلق الأول ورجوعه للعدم سيعيد الخالق سبحانه وتعالى الخلق من جديد، هو الحق وقوله الحق، والإعادة لن تكون عبثاً وإنما لميعاد يوم الحساب ولذلك أوجب الله تعالى العمل بالقرآن الكريم والتفكر في آياته.

وفي الناحية المقابلة فإن العلماء، مختلفين عن كيفية انقضاء الوجود أو المكان والزمان، والتي ارتبط بها العالم المشاهد في هذه الحياة الدنيا (السماء الدنيا) المجال الذي حُدد به علم الإنسان ومعرفته.

ذلك أن الكون مستقر بفعل قوتين متضادتين، أو بفعل قوة محكمة تعمل في اتجاهين متعاكسين بين الجاذبية والتوسع.

فغالبية العلماء ترى أن توسع الكون سيستمر حتى يكون الكون المفتوح، بينما يرى آخرون أن الجاذبية ستتغلب على قوة توسع الكون وسينتهي الكون بالانسحاق العظيم.

والله تعالى يقول: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ الأنبياء (104).

السماوات تشبه الحلقات المتداخلة هي على بعضها طباقاً، كحلقات لفائف سجل الكتب، وهي تتوسع فتكبر كتلتهما بزيادة المجرات والنجوم ولكن في حالة الانطواء أو الانكماش فإن قوة الجذب تزيد، ما يعني أن كتلة المواد الصلبة زادت في السماء مما يؤدي إلى اقتراب الدوائر نحو المركز، ويستمر الانطواء حتى بلوغ الكتلة صفر، وبذلك يعود الخلق للعدم الذي بدء منه.

إن توسع السماء ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىٍ۟ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ والجاذبية بين أجزاء السماء الدنيا هما أقوى قوتين نسبياً عرفهم الإنسان وعليهما قامت أمر السماء الدنيا وستظل هذه القوة مجهولة (أمر العلم والسيطرة) للإنسان، هذه القوى حادثه نشأت من الفتق الأول وهي كذلك باستمرار توسع السماء وقوة الجذب بين أجزائها.

والله تعالى هو القوي الصمد الذي لا يزول ولا يحول، وتجليه تعالى لأي شيء من خلقه حاله إلى هباء منثورا قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ۚ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ

ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ سورة الأعراف 143.

فظهور قوة عظمى في مجال قوتين متكافئتين نسبياً سيدمر مجال هذه القوة ويفشلهما.

كذلك الشمس تضيء بفعل التفاعلات النووية في المركز، وعند نفاد الوقود تتحول، مثل أي نجم هالك، والشمس نجم متوسط الحجم، وهناك ما يزيد على ملياري نجم في مجرة درب التبانة، ورغم بعد الشمس عن الأرض - 93 مليون ميل - إلا أن الإنسان تتضرر عينيه إذا نظر لقرص الشمس مباشرة رغم أن أشعة الشمس تمر بعده مجالات فاصلة حتى تبلغ سطح الأرض.

وجميع النجوم والمجرات لا تضيء إلا جزء صغير من تلك السماء الدنيا، وهي الجزء الأصغر من السماوات السبع وكل سماء تتبعها أرض وهي لذلك سبع أراضي.

والحق سبحانه وتعالى نور السماوات والأرض، "حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"[1].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ ﴾ النور (34 - 35).

لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم إلى البشرية آيات بينات ومثل من الذين خلو من قبلكم، وتلك موعظة للمتقين يتعظ بها المتقون،

(1) حديث شريف - رواه مسلم في صحيحه برقم (179) [161/1].

فيكفون عما يكره الله إلى ما يحبه الله ويرضاه.

فالله تعالى نور السماوات والأرض، وهادي أهل السموات والأرض، فهم بكتابه وهداه إلى الحق يهتدون، وأصحاب الكتب السابقة يعلمون ذلك من البينات، ويعلمون أن الله نور السموات والأرض، ولله تعالى ما في السموات والأرض، ويضرب الله الأمثال للناس إحسانا لهم وليتضح الحق من الباطل، وهو بكل شيء عليم، فإنه يعلم، وأنتم لا تعلمون.

إن مثل الأرض جيمعاً في السموات السبع (المواد الصلبة) في كل السماوات السبع هي قبضة الله العظيم الذي تفوق عظمته كل شيء.

قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ ﴾ الزمر 67.

بل إن جميع الأرض قبضته والسماوات السبع مطوية بيمينه يوم القيامة، وللتعرف على الحق جل جلاله وجب الهدى منه، ولذلك كان القرآن الكريم العلم الذي لا يبلى ولا يعجز، فهل لكم هدى بَيِّن غير ذلك؟!

قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٢ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤ ﴾ فصلت (52 - 54).

فإذا كان من عند الله ثم كفرتم به، وليس هناك كتاب أصدق من هذا الكتاب ليحق الحق ويدفع الباطل، من غير شك ولا ارتياب، فمن أظلم ممن هو في خلاف والتباس بالباطل، فلا أحد أضل منهم.

قال تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ

أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ الرحمن (33).

المخاطب هنا الجماعات الإنسانية وتجمعات الجن على مر العصور، والتي حاولت النفاذ إلى أقطار السماوات والأرض (الكون) ولن يكون النفاذ إلا بسلطان العلم، والله سخر العلم للإنسان وذلك من النعم (البَيِّنة) في السموات والأرض وفي أنفسكم.

فالإنسان تمكن من الوصول إلى القمر وأرسل مركباته ومجساته إلى المريخ وكواكب المجموعة الشمسية وتوابعها، ومن خلال مراصده الأرضية والفضائية، واستطاع النفاذ ليراقب ويتعرف على النجوم والمجرات التي تبعد بلايين السنيين الضوئية عن الأرض، فهل لكم من ذلك الفصل بين الحق والباطل.

أما الجن عالم غير عالمنا مستتر لا يرى، الله أعلم بحقيقته ولا نعرف عنه إلا ما أخبرنا به الحق فهو مخلوق من نار﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ وهم كالبشر سواء بسواء يثاب مؤمنهم ويعاقب كافرهم، وهم مخلوقات أنعم الله عليهم من العلم ما مكنهم من النفاذ إلى السماء حيث قالوا ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ ﴾ الجن (8).

وفي كلمة الفصل ألا إنكم يا بني آدم في مرية وشك من لقاء ربكم ألا إنه بكل شيء محيط علماً.

الفصل الثالث

القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿ الٓرٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤ مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ۝٨ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ سورة الحجر 1- 9.

هي آيات الكتاب العظيم الدالة بأحسن المعاني وقرآن مبين بأحسن الألفاظ وأوضحها يميز الحق عن الباطل والهدى عن الضلال، ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين، ألا إنه عند ذلك لا وقت للندم، فلا تجبر أحد على الإسلام، فلا فائدة في عمل لاتصدقه النية، بل دعهم يأكلوا ما شاءوا ويتمتعون بلذاتهم ويلهيهم الأمل، فغالباً ما يلتهي الإنسان بأمور الدنيا، عن التفكير في سبب الخلق والآخرة، فسوف يعلمون أن ما هم عليه باطل عن الحق ودعوة إليه، فما أهلك الله من قرية مستحقة للعذاب إلا ولها كتاب وجاءتهم البينه، فلا تسبق أمة أجلها ولا تتأخر عنه فهم أعلم بالحق حين بلغهم ولكن هي أهوائهم، بل قالوا مخاطبين النبي صلى الله عليه وسلم باستهزاء أن نزل عليك الذكر(القرآن الكريم) إنك لمجنون، وقالوا لو ما تأتينا بالملائكة يشهدون لك بصحة ما جئت به إن كنت من الصادقين في دعواك النبوة والرسالة، وما ينزل الله الملائكة إلا لإحقاق الحق وإبطال الباطل لا لمجرد رغبة الناس وأهوائهم وما كانوا إذاً منظرين بل عجلوا بالعذاب، والله تعالى ما أنزل الذكر (القرآن الكريم)

إلا بالحق وهو له حافظ لأنه حجة الله على الخلق إلى يوم القيامة، كتاب علم وفكر، وحصراً سبيل للهدى والتقوى، وحفظ كتاب بهذا المنهج العظيم ليس من قدرة الخلق أياً كانوا. وذلك للأسباب التالية:

1- قال تعالى: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ يوسف (108 - 109).

هي آيات الله تعالى في هذا الكتاب الكريم وعلمه الموحى، ألم يتدبروا ذلك في السماوات والأرض، بل أكثرهم معرضون، حتى ولو حرصنا فما أكثر الناس بمؤمنين، وما سئلوا من أجر، بل هو ذكر للعالمين.

أقام القرآن البينة على الخلق بعد انقطاع الرسل، هو كلام الله تعالى فيه خطاب مباشر للإنسان، وهذا أعظم سر معجزات القرآن الكريم، لذلك هو دعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ودعوة الرسل أجمعين.

فالرسل بعثوا للتعريف بالحق جل جلاله وسبل الهدي إليه، هي دعوة الحق، هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين.

فالعلم الموحى ليس فيما تهوى الناس ويهوى الفرد بل هو العلم الذي يبين سبل الحق، فإذا أراد الناس أمراً فلا يفسر ذلك بأنه من عند الله، ذلك أن كل جماعة تريد شيئاً يخالف إرادة الجماعة الأخرى، والكل يسعى في هواه، لذلك فإن كل جماعة تهتدي إلى أمر يحقق أهواءها، وقد يخالف ذلك الجماعات الأخرى، بل إن أهواء الناس قد تتغير من وقت لآخر.

والله تعالى يدعو إلى الحق وله دعوة الحق، ولذلك هي دعوة خالصة لا تتغير بتغير الجماعات والزمان، ولها قام الخلق فلا حجة لوجود الخلق إلا لعبادة الله كما ابتغى، ولهذا فإن أسلوب القرآن ليس

بأسلوب مخلوق، بل هو كلام الله تعالى الصمد (الأزلي)، هو الحق المبين فيه علم ما سبق قبل الخلق وعلم الخلق وعلم ما بعد الخلق، وفيه سر الخلق ومعنى الحياة، وكلامه تعالى الذي تحدى به الإنس والجن، وضرب للناس في هذا القرآن من كل مثل يهدي للحق، وله تعالى المثل الأعلى، فلا أوضح ولا أبلغ من قوله تعالى.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾ الإسراء (88 - 89).

هو سلطان الله وعلمه لنصرة عباده المؤمنين ويأزرهم بتوضيح معالم الحق وسبل الدعوة إليه، ولن تتدبر معناه إلا إن كنتم صادقين، فالكاذب ليس له من القرآن إلا التعب لأنه إذا جاء الحق زهق الباطل، هو شفاء لما في الصدور، ذلك أن ما ركن في الصدور من اتباع الباطل لقصد الهوى سيزول إذا صدق الله تعالى، ومن لم يصلحه القرآن فلا جدوى لعلمه وعمله، والظالمين لا يزدادون إلا كذباً وكآبةً، ولن يجدوا وسيلة لمواجهة الحق إلا التعصب بالسوء للباطل.

فالإنسان حينما يتمكن في السلطان الزائف ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ أو يعتز بنفسه فيقول ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ فيوالي الهوى حتى يتمكن منه الباطل فيصعب عليه التمييز فيصبح فكره وعمله ونفسه في الحضيض، وعندها تتساوي الأنوار والظلمات.

كل إنسان أولى فكره وذاته في ارتجاء الصدق إلا وهداه الله للحق، أما من أولى الكذب كان سبيله التعصب للباطل، ولا يضيف الباطل ولا يزيد إلا سوءاً.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ

أَهۡدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ الإسراء (83 - 84).

هو سلوك البطر حينما يغتر الإنسان ويعرض عن النعم فينأى بجانبه (تباعد عنا بنفسه أو جسده عن النعمة استهزاءاً بها)، ويتعظم ويتكبر، هو سلوك عام حتى في النعم الباطنة كذلك هو يرفض الحق والعلم باتخاذ الهوى سبيلاً فإنه كاذب حينما يتبع الكذب، والله تعالى أعلم بمن هو أهدى سبيلاً ونياتهم، فلا تدعي الإيمان وأنت تكذب.

فالصادق لا يروق له إلا إتباع الصدق سبيلاً، فإذا اتبع غير ذلك من هوى أو باطل فإنه يعود للحق وإلا فإنه يهلك حسرة وندماً على ما ضيع من جنب الله تعالى، ولكن من أرخى للكذب جانب واستمر في الباطل وساير هواه فلن يغير شاكلته وهو كاذب وسيظل يحرص على الكذب حتى يلقى ربه عليها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ﴿٧﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴿١٢﴾ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾ المزمل (5-19).

القرآن يخاطب العقول والقلوب بقول شاق ثقيل بفرائضه وحدوده على المكلفين، عجزت السماوات والأرض والجبال عن حمله ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا

وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ويعظم تعالى شأن الأمانة، التي ائتمن الله عليها المكلفين، التي هي امتثال الأوامر، واجتناب المحارم، وعدم اتباع الهوى، وأنه تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة (السموات والأرض والجبال)، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً، اللهم أعفو عنا يا رحيم.

وما أشق وأثقل هذه الحروف والكلمات:

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾ إن هذا علم الذي نبأ الله بها عن يوم القيامة وأهوالها، العظيمة، الذي يشيب الولدان، وتذكرة يتذكر بها المتقون، فالسماء تتفطر بسبب أهواله، إنه وعد ولن يخلف الله وعده.

للقرآن مناعة ذاتية في الأسلوب وفي ذات الحرف والكلمة تحفظ المضمون الفكري والعلمي، فكثيراً ما أكد حرف أو كلمة لمعنى في القرآن الكريم تقتضيه وتؤكده الحقائق العلمية والفكرية ولم تكن لتعرف قبل أوانها ومثال على ذلك قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾ إبراهيم (32-33).

الله خلق السموات والأرض وسخرهما للإنسان كما سخر المطر الذي ينزله الله من السحاب، فأخرج بالماء من الثمرات مختلفة الأنواع، وسخر البحر لتجري فيه السفن والمراكب وسخر الأنهار لتسقي حروثكم وأشجاركم، وتشربوا منها، وسخر الشمس والقمر دائبين لا يفتران (دائمين الخدمة الحركية) وسخر لكم الليل والنهار.

والله الذي سخر الشمس والقمر بهذا الحجم وبهذه المسافة عن الأرض وربط ذلك بحركتي الأرض حول الشمس وحول نفسها بتعاقب الليل والنهار وحركتي القمر حول الأرض وحول نفسه، إنَّ أفضل تعبير

لهذه الحركة جميعاً هو تعبير دائبين، ولم تكن هذه تعطي أي معنى حيث نزول القرآن الكريم ولكن خير القول والبيان قول الله تعالى فشمل في القرآن معنى وعلم تعرف عليه الإنسان الآن، ولنبحث ذلك في العلم:

الشمس نجم متوسط الحجم في مجرة درب التبانة وفاعل رئيسي للحياة على سطح الأرض، فهي مصدر الطاقة والضوء والحرارة على سطح الأرض وتبعد عن الأرض 93 مليون ميل أو ثمان دقائق ضوئية وتعد هذه المسافة المثلى للحياة على سطح الأرض.

أما القمر فإنه يقع على مسافة 240 ألف ميل ويعكس ضوء الشمس وللقمر حركتي دوران متزامنتان فهو يدور حول محوره وحول الأرض مرة كل 27.3 يوم، كذلك للقمر دور فعال للحياة على سطح الأرض.

يؤثر القمر على الأرض خلال حركته المدارية بل حتى حركته حول محوره تؤثر كذلك، فقوة الجذب والطرد المركزي والتي لها تأثير واضح على سطح الأرض(المد والجزر في البحار) فإنه يحدث قوة جذب وطرد حتى على المادة الصلبة من الأرض.

فحسب القوانين الفيزيائية (قانون الجاذبية لنيوتن) فإن الجاذبية بين جرمين سماويين يؤثر في شكليهما وحركتيهما.

فعند اقتراب القمر من الأرض يحدث قوة جذب ويكون ذلك واضح في البحار وذلك بحركة المد فإذا بعد القمر عن الأرض فإن قوة الجذب تقل طردياً أو الجزر في البحار وتحدث حركة المد على المادة الصلبة من الأرض طاقة حرارية تلجم "تسوى" حركة الأرض والقمر فيظل بعد الأرض والشمس ثابتة.

ونتيجة لذلك فإن القمر يبتعد عن الأرض بمقدار ثلاثة سنتمترات في العام لذلك فإن يقترب من الشمس بمقدار ثلاثة سنتمترات في العام وسيستمر هذا حتى يجمع الشمس والقمر قال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ ﴾ القيامة (7- 9).

هو أعظم أسلوب، لن يأتي به الخلق على مشاربهم، فإذا كان أمر

الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه في مخاطبة الناس كان أسلوب الأمر "قل"، مثل: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾ أو ﴿ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾.

حتى إذا أراد الله أن يفضح أو يفسر قول الكفار فإنه يرجع الكلم إليهم، مثل: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ۝٢٦ ﴾.

في هذه الآية يتبين سلوك الكافر حينما يعجزه القرآن بالحجة، ويؤكد ذلك عظم المخاطبة النفسية للقرآن الكريم، فالمؤمن إذا ما أصغى أدرك أن الخطاب يوجه إليه، وأما من ارتاب وكفر يدرك أنه مفضوح ومعروف في الذكر العظيم.

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين وليقيم الحجة والعلم وينذر الذين لا يؤمنون.

قال تعالى: ﴿ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ﴾ فصلت (2-6).

2- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٣٤ ﴾ النور(34).

القرآن الكريم كلام الله تعالى وما بقي من العلم الموحى الذي لم تمسه يد التغيير، فيه آيات مبينات للفكر، واضحات الدلالة، على كل أمر تحتاجون إليه، ومثل من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين لمن صدق نفسه وآمن بالله وآياته وقدرته في الخلق وإعادته من جديد.

وأما من سيطر عليه الهوى وآثر اتباعه، فكذب على نفسه وعلى

الآخرين وأنكر سنن الله وآياته وقدرته في الخلق وإعادة الخلق من جديد فلا فائدة ترجى من فكره والله غني حميد.

قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الممتحنة (4-9).

ولكم في إبراهيم عليه السلام والذين معه أسوة وقدوة صالحة إذا قالوا لقومهم إن برءا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة حتى تؤمنوا بالله وحده، حتى حب إبراهيم لأبيه لم يصده عن سبيل الله تعالى بل حتى لو استغفر له الله فإنه يعترف ويقر بأنه لا يملك له من الله شيء، وحسبنا وحسبه عليه السلام الله وحده عليه توكل وله أناب.

لقد كانت لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب (21).

ولذكر الله أكبر وأهم فكر للخير أجمع ودافع كل فعل لسبب أسمى فطر الخلق له، وهذا ليس لهواً ولا افتراء ولكنه الصدق والإخلاص للعدل والحق، وهذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها، من كان يرجو الله واليوم الآخر، ولذلك وجب أمر الإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

فاتباع الرسل صلوات الله عليهم والاقتداء بهم لقصد موروث الآباء والأهواء متحققة لغايات دنيوية وللخلود في الأرض كذب على الله تعالى وكذب على الأنفس فإنكم وما أوليتموه لزوال.

فالله تعالى دعا الناس إن كان لهم رغبة ورجاء لله واليوم الآخر الاقتداء بالرسل على علم بين في الربط بين رضاءه تعالى وحساب اليوم الآخر.

وإعلام الناس علم اليقين أن الخلق ليس عبثاً فلا بُدّ وأن يأتي اليوم الآخر، وتأكيداً على هذا الأمر فإن الأمر اختيارياً للناس بين الحق والباطل ولتعلموا قدرة الله وعدله.

قال تعالى: ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ المؤمنون (112-118).

إن إعمار الخلق على الأرض لن يتعدى عدد من السنين بل إن حتى السماء والأرض لن يتعدى أعمارها عدداً من السنين حتى وإن عمرتم وإن استمرت الحياة في السماء الدنيا فلن تلبثوا إلا قليلاً لو كنتم تعلمون، وبعد انقضاء الأعمار ستعلمون أن ما مر بكم قليل وأن الوقت والزمان قد انتهى، وعند انتهاء الوقت لا يحسب كم انقضى، هذه هي

حقيقة الخلق وما أنتم بمعجزين وحياتكم ومماتكم ولا حتى أعمار كواكب المجموعة الشمسية يعتد بها في أعمار الخلق.

أما غالبية الناس فإنها لا تزال تستبعد أو تكذب اليوم الآخر وقالوا كما قال الأولون ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ حتى اختلاف كمية ونوعية العلوم لم تغن عن إصرارهم في تكذيب البعث.

فالناس تزيد معرفة في آيات الله في الخلق وتأكيداً في ما تضمنه القرآن الكريم من علم اليقين بل كانوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل طال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثيراً منهم فاسقين.

كذلك هناك مفهوم لازال يسيطر على عقول الناس في ما اعتقدوا به من أن السماوات والأرض ثابتة أو أزلية بل وأن الشمس تدور حول الأرض من الأزل. لا يزال هذا الاعتقاد يسيطر على فكر كثير من الناس، لذلك فإن هؤلاء يصعب عليهم مفهوم أن العالم متغير وأن أصل الخلق بدأ من العدم وسيعود للعدم بأمر الله.

رغم تقدم العلوم والوسائل العلمية التي مكنت الإنسان من الاستدلال على الحقائق العلمية والتي غيرت العديد من الاعتقادات قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ فصلت 53.

هي آيات عظام، آيات الخلق وما ذكر عن علم اليقين دليل التفريق بين الحق والباطل وقدرة الخالق سبحانه وتعالى.

فكمية الخلق وكيفيته أعجزت العقل البشري والذي لا يزال من كشف إلى آخر في السماء والأرض وما بينهما حتى في النفس البشرية لعله يدرك الحق في إبداع وسنن الخلق. ولكن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى، رأى الخلق وحقائقه وعلمه ولكنه استغنى عن الخالق، فقال خلق من غير خالق أو أنه ما قدر الله حق قدره فتشابه عليه الخلق.

ففي تلاقي علم الطبيعة المجرد مع العلم الموحى في القرآن

الكريم وفي التكامل الذي لا بُدّ منه سيعلم الناس الفرق بين الحق والباطل وسيعلم أن نص وتفسير الخلق لا بُدّ أن يكتمل بنص من العلم الموحى، وذلك للأسباب التالية:

1 - قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ الذاريات (56-58).

هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، ولن يدرك الإنسان سبب الخلق حتى يعيّ ويتدبر كلام الله تعالى، فالإنسان يملك من الوسائل والعلوم الكثير، ولكن لن يستطيع ومهما أوتي من علم أن يعرف سبب الخلق إلا بالرجوع لكتاب الله وتدبره بصدق وإخلاص.

فالإنسان في هذه الحياة فترة زمنية محدودة كذلك الشعوب والأمم هم في فترات زمنية محدودة، حتى البشرية على سطح الأرض في الحياة فترات معينة بإذن الخالق عز وجل وستخلون كما خلي الذين من قبلكم.

قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الرحمن (26-27).

لماذا هذا التعيين؟! وما الهدف منه؟! هل هو لتعمير الأرض؟!

فإذا كان كذلك فلماذا الزوال بعد ذلك؟!

لماذا تزول الأمم والحضارات بعد المكوث فترة من الزمن؟! لماذا تزول الكواكب والنجوم؟!

وما الذي يحييها فترة من الزمن أو يحفظها خلال تلك الفترات؟!

إن الحياة الإنسانية وإن شغفت بالدنيا والشهوات تظل في رغبة دائمة لمعرفة سبب يفسر هدف الخلق والغاية النهائية من هذا الخلق.

فالله تعالى خلق وسخر قال تعالى: ﴿ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ

لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ الجاثية (11-15).

هذا هدى وهو وصف عام لجميع القرآن، فإنه يهدي إلى معرفة الله تعالى، بصفاته المقدسة، وأفعاله الحميدة، ويهدي إلى معرفة رسله، ومعرفة الحق، ويهدي إلى الأعمال الصالحة ويدعو إليها، ويوضح الباطل، ويبين الأعمال السيئة وينهى عنها.

إن البحر مسخر بأمر الله ولولا تسخير البحر لما استطاعت المراكب والسفن أن تجري فيه بل إنها تغرق أو في آية أخرى فإنها لن تتحرك، ولكن المراكب والسفن تجري في البحر بأمره وتيسيره والناس تبتغي من فضل الله تعالى في هذه البحار فسبحان الله في خلقه وتسخيره.

إن جميع المواد الصلبة حتى النجوم والمجرات هي من الأرض، والله تعالى هو الذي سخر السماوات والأرض، وهناك عدة أجزاء من السماء الدنيا وهي جميعها ضمن سماء واحدة.

وهي في وحدات جزئية تحيط بالكرة الأرضية من السحب والغلاف الجوي ومواقع النجوم في المجرات حتى الفضاء الكوني، وهو البناء الذي يحمل جميع الأرض كل ذلك مسخر بأمر الله تعالى وفي ذلك آية عظيمة لقوم يتفكرون.

والله يدعو الذين آمنوا أن يغفروا للذين لا يرجون أيام الله أي جهلوا أن هذه الأيام هي قدر الله ليجزي كل قوم بما عملوا.

2- قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ

﴿ ۝٥٩ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ۝٦٠ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٦١ ﴾ الزخرف (57-61).

لقد ضربوا عيسى عليه السلام مثلاً وجدلاً لأنهم قوم زاغوا عن الحق، فعيسى عليه السلام عبد الله أنعم عليه نبياً لبني إسرائيل وأسوة لهم، ولو شاء الله لجعل من بني آدم أو في مكانهم ملائكة لا يعصون الله، وعندها لا حاجة لرسل، فلا ريب في الساعة وإن القرآن الكريم لعلم اليقين لها، فاتبعوه إنه الصراط المستقيم.

لقد اختلف العلماء في النهاية الكلية للسموات والأرض ولكن القرآن الكريم كان أكثر تحديداً في ذلك، إنه علم اليقين الذي حدد ذلك قبل أن يعرف علم عين اليقين (المجرد) ماهية السماء.

قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤ ﴾ الأنبياء(104).

3- قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ۝٤٨ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ۝٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝٥١ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٥٢ ﴾ إبراهيم (48- 52).

هو بلاغ للخلق وعلم لهم ونذر من الله الواحد الأحد سبحانه وتعالى. فبانقضاء الخلق الأول ستبدل الأرض والسموات وسيبرز الخلق لله الواحد القهار وستحاسب الناس على أعمالها.

إن إعادة الخلق هي من علم اليقين ولكن تصعب على العقل البشري لأنه لم يكن للإنسان تجربة بها كذلك الاعتقاد الخاطئ أن السماء الدنيا أزلية أو دائمة الوجود.

ولكن في علم (القرآن الكريم) يخاطب الله تعالى الخلق بأسلوب

الخالق العليم الذي لا يعجزه شيء في السموات والأرض ويضع في ذلك الأسلوب والحجة البليغة التي لا يغوى علم ولا خلق لردي عليها.

قال تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝١٥ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ۝١٦ ﴾ سورة ق 15- 16.

هو الحق المبين كلام الله تعالى، وإنه سبحانه لم يعيّ بالخلق الأول ولو كان كما زعموا، كذباً وافتراء على الحق جل جلاله، استراح في اليوم السابع لما كان أي خلق ولما استقامت السماوات والأرض وما كان الاستمرار في هذا الكم المتزايد والمتضخم ولا الكيفية التي حفظت التسخير للإنسان للحياة على سطح الأرض.

فلولا هذا التسخير لانقضى الخلق ولم يعيش الإنسان ولم يعمّر على الأرض.

فلا يوجد سبب في استمرار تضخم الكون (توسع السماء) النسبي والتجاذب بين المواد الصلبة (الأرض) لولا أمر الله (التضخم المتقن).

كذلك لا يوجد سبب لمجرة درب التبانة ولا للمجموعة الشمسية والشمس والقمر والأرض بالاستمرار بالكيفية المحددة في نظام متوازن دون أن يطغى شيء ما فيفسدها.

مثلاً ما الذي يمنع تعرض مجرة درب التبانة والشمس والقمر أو الأرض منذ بلايين السنين لأي حادث يزيلهن كما أزيل كثيراً من المجرات والنجوم والكواكب، إن ذلك بأمر وتقدير الله تعالى، فهل من سبب آخر تأتون به؟!

فلا تضربوا المثل أن كوكب أو جرم سيصدم الأرض أو المجموعة الشمسية ليفسدها، فإن ذلك لو حدث فإنه بأمر الله تعالى ولن تستطيعوا إنقاذها، فلا تدعوا بما ليس لكم حيلة به.

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن

زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾ ﴾ فاطر (41).

سبحانه ما أعظم حلمه ومغفرته.

وليعيّ الإنسان إعادة الخلق يقربه مرة أخرى، حسبه أن يعيّ بداية الخلق الأول من العدم أفي ذلك لبس وإذا كان كذلك أهو في الخلق الأول أم الثاني؟!

القرآن الكريم ليس بافتراء أو كذب على الحق، ولو أصابه انحراف لما دعي للحق وأثنى على الصادقين، هو بلاغ للناس وفكر مبين.

فلا يدعو للحق جل جلاله إلا الحق المبين ولا يثني على الصادقين إلا البر الشهيد. أفي قلوبكم ريب!

ولم يكن ليأتي ذلك الكتاب إلا من عالم السر في السماوات والأرض.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ

خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ يونس (37 – 45).

كثيراً هم الذين أعماهم الحقد والحسد حتى تطاولوا على القرآن الكريم فقالوا ذلك الكتاب حديث مفترى مثله مثل الكتب المحرفة، بل إن التعصب فيهم أعمى البصر والبصيرة، لقد تحدى "القرآن الكريم" الفكر البشري في علوم لا يستقيم الفكر والخلق إلا بها، فما الذي يجعلكم تلبسون الحق بالباطل، أنه فكر الهوى ولاشيء غير ذلك.

أتستطيعون أن تأتوا بسورة من مثله، وهذا محال، بل ادعوا من ادخرتم من دون الله، إن كنتم صادقين، والذي حملهم على التكذيب بالقرآن، المشتمل على الحق، الذي لا حق فوقه، أنهم لم يحيطوا به علماً، فلو أحاطوا به علماً، وفهموه حق فهمه، لأذعنوا بالتصديق به، ولكن كل فاجر كذاب ادعى اتخذتموه ظهرياً، ألا لعنة الله على الظالمين.

بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولم يستبينوا آياته، هي سنة السابقين، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين، فليحذر هؤلاء أن يستمروا على تكذيبهم، فيحل بهم ما أحل بالأمم المكذبين، والقرون السابقة.

وهذه العاقبة هي أنهم بعد العلو والظلم هم اليوم شيئاً لا يذكر، زالوا ويوم القيامة سيحسم أمر الظالمين بإذن الله تعالى.

ومنهم من يؤمن بالقرآن وما جاء به، ولا فائدة من الإيمان إن لم تصدقه النية، ومنهم من لا يؤمن به والله أعلم بالمفسدين.

وإن كذبوك فاستمر على دعوتك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون، فمن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها، ولن تسمع الصم ولن تهدي العمى، هم لا يعقلون أن الله لا يظلم الناس ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

يخبر تعالى عن يوم القيامة وأن الله تعالى إذا حشر الناس وجمعهم ليوم لا ريب فيه، كأنهم ما لبثوا إلا ساعة من نهار، والزمن الذي انقضى من نعيم وبؤس لا تشعر به بعد الانقضاء، وهم يتعارفون بينهم، ففي هذا اليوم، يربح المتقون الذين اتبعوا الحق، ويخسر الذين كذبوا

بلقاء الله وما كانوا مهتدين بعد أتباعهم فكرهم الباطل (الهوى).

إن مثل الكتب المحرفة واضح لا يخفى على العاقل، فالتحريفات شوهت الفكر والعقيدة، تبعاً لجهل أو أهواء الناس، فكانت المحصلة أفكاراً عوجاء (عاجز عن إيجاد المنهج السليم للحياة البشرية) تخالف الفكر والثقافة العلمية.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ آل عمران (98- 99).

هو استفسار وجيه، ما الفائدة من الكتب إذا تضمنت كذب وانحرافات؟! وما الفائدة منها إذا لم تهدي الفكر للحق جل جلاله.

يا أهل الكتاب لما تكفرون بآيات الله البينة، أتظنون أن الله غافل عما تعملون، بل الله تعالى شهيد عليكم، لما تصدون عن سبيل الحق، أتبغونها عوجاء؟!

إن حفظ القرآن الكريم هو مفهوم شامل يُعنَى بالفكر والعلم والحرف.

هو فكر بيّن ليس فيه تناقض، هو الحق ولا يدعو إلا بالتي هي أحسن قائم بالعدل (القسط)، ولا يؤخذ إلا بالحق والحجة الحاسمة.

هو علم صحيح لا يفسر الحقيقة العلمية إلا كما هي وكل حرف في القرآن يقيم معنى الآية، فوجوده في موضع معين يحفظ المعنى السليم للآية.

3- قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ

عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ الشعراء (191-208).

لا كلام يعلو على كلام الله رب العالمين الذي أنزل القرآن رحمة للناس ولقد جاء ذكر القرآن الكريم والعلم الموحى في كتب الأولين حتى في حالها المحرف.

بل إن القرآن دليل العلم الموحى في حاضركم وفيه علم مابين أيديكم وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ففي مثل فرعون حين أنكر على موسى عليه الصلاة والسلام ما جاء به من الحق، وأنه رسول الله، وأراد أن يفتك به وببني إسرائيل. وأوحى الله تعالى إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فإذا البحر ينشق كالطود العظيم.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ

كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّـَٔا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ يونس (75-89).

الأجرام سلوك من مخرجات الفكر، هو الاستكبار على آيات الحق، والاستكبار لا يكون لعلم أبداً وإنما جهل وهوى، لأن الباطل يعجز عن مواجهة الحق فلا يكون منه إلا الاستكبار ونكران الحق.

فأجابهم موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾ فما كان جواب فرعون وملائه إلا أن قالوا ﴿ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴾.

كانت إجابة فرعون وملائه لدعوة الحق أجئتنا لتصدنا عما وجدنا عليه آباءنا، من الشرك، وعبادة غير الله، وتأمرنا بأن نعبد الله وحده لا شريك له؟ فجعلوا قول آبائهم الضالين، حجة، يردون بها الحق الذي جاءهم به موسى عليه السلام وهذا ينمى عن الحالة النفسية التي بلغوها حين ما رفضوا الحق خوفاً على منافعهم لأنهم لو أقروا بالحق لكن الكبرياء لهارون وموسى عليهم الصلاة والسلام.

إن الحالة النفسية لفرعون وملئه جعلتهم يتصوروا الإقرار بالحق هزيمة لهم في فقدان السطوة على خلق الله وذلك أن سطوتهم كانت على الباطل والظلم.

هذا الفكر المتعصب لا يهدى إلا إلى الأسوأ ذلك أن التعصب لا يقوم إلا على الباطل والكذب، فكثيراً من الذين بلغهم قول الحق أنكروه، اعتقاداً منهم أن ذلك سيحد من نفوذهم فكان رد الفعل منهم أن قاوموا الحق بالقوة تارة وبالمكر تارة، والحق والعدل سيحيق بهم ما كانوا يمكرون، فالله خير وأبقى.

ما آمن مع موسى وهارون إلا مجموعة من قومه رغم أنهم لا يزالون على خوف من فرعون وظلمه.

إذا جاء الحق زهق الباطل، ذلك أن القوة القسرية إذا أقامت الباطل والظلم نفت العدل، والحق لا يأتي إلا بالعدل، فإذا نفى العدل الظلم القسري، أدرك الظالم أن ذلك يحرمه من نفوذه.

وهذا الظن ينم عن تردي المستوى الفكري ذلك أن ظلم سبل العلم وفي ذلك ظلم للنفس ذلك أنهم لم يدركوا علم اليقين، وما آمن مع موسى وهارون إلا مجموعة من قومه وهم لا يزالون على خوف من فرعون وملاءه.

فأجابهم موسى عليه السلام ﴿ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴾ هي أدراك من آمن بالله... حسبي الحق... حسبي العدل... حسبي الله جل جلاله وكفى.

﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٥ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٦ ﴾.

من زاغ عن الحق هو ظالم، ورحمة بهم بعث الله موسي إليهم ودعا موسى عليه السلام: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ

قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾.

طمس الشيء، هو أن أخفي أثره فيصبح غير ذات جدوى وأشد على قلوبهم، حتى يتمكن الهوى منها فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم.

إن الذين يشاقون الحق، وتمكن منهم الهوى، لن يؤمنوا كما في حالة فرعون حتى يروا العذاب الأليم.

إنه ربى الله العزيز الرحيم والعزة لله تعالى يؤتيها من يشاء، والمشيئة رغبة ذاتية تلتزم بإخلاص النية واختيار الصدق منهج أم خضوع النفس للهوى يصغرها حتى تقبل بالكذب ويبث فيها من الذلة في سبيل تحقيق هواها. وتلك الحالة النفسية لكل جاهل كذاب.

والله تعالى أنزل القرآن الكريم رحمة وعزة للمتقين والعزة ترفع الحجة بالعلم بينما الذلة تصغر النفس لتتخبط في براثم الكذب والفساد، فلا ملجئ للكاذب إلا أن ينتهج الكذب ولو كان ذلك على نفسه، فانظر كيف كذبوا على أنفسهم، وهي ذلة وفساد ليس بعد ذلك أكبر.

نزل القرآن الكريم بالوحي، ونزل به الروح الأمين (جبريل) على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون من المبلغين المنذرين.

هو كتاباً عربياً فصيح، ويفهم باللغة العربية أفضل، وهو في كتب الأولين، ألم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل، فاسألوهم أن في الحق عزة لهم.

أما أمر الهوى فإنه الأمر الذي اختلفوا فيه أيتفقون على الصدق ولو نزل في لغة أخرى، ولكنه يسلك في نفوس المكذبين الغاويين فلا يروا فيه آياته ولن يغير أهواءهم، كذلك هو في قلوب المجرمين لا يؤمنوا به حتى يروا العذاب الأليم، فدعوهم يتمتعون ويلههم التكاثر حتى إذا أتاهم ما يستعجلون سيقولون هل نحن منظرون كما قال فرعون، لن تغنى عنهم ما كانوا فيه يتمتعون.

4- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا

جِئْنَاكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الفرقان (32-36).

القرآن كلام الله تعالى الصمد يخاطب الناس كافه بجميع أجناسهم، وفى شتى الأزمنة، جامعاً للحق في معانيه، والوضوح، والبيان التام في ألفاظه، فمعانيه كلها، حق وصدق، لا يشوبها باطل ولا شبهة، وألفاظه أوضح الألفاظ، وأحسن تفسيراً، مبين للمعاني بياناً كاملاً.

ولكن الذين كفروا والمنافقين في شقاق مبين، إن عجزوا عن مجاراة القرآن، قالوا بأمور هي ليست من الأمر، فكما قال الأولين ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ قال الآخرين إن القرآن كباقي الكتب المحرفة ولم يتدبروه ولم يأتهم تأويله، فلا تأتوا بمثل خارج السياق بل ذلك هو كلام الله وخطابه للخلق، ولن تأتوا بمثل تكذبون به على الحق جل جلاله، إلا وأتاكم القرآن الكريم بالحق وأفضل تفسير.

هو بلاغ للكافرين والمنافقين، والنفاق أشد كفراً، لن تنفعهم النذر ولن تهديهم وسيحشرون إلى جهنم على وجوههم ﴿ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ لن تغير الناس أسلوب أفكارها وهي تحكم بأهوائها وتقول كما قالت سالف أسلافهم مع رسل الله صلوات الله عليهم، والله تعالى أخبر عنهم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله بصير بهم.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ

ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ۞ آل عمران (183-194).

لا تزال الناس تصر على المعجزات، وإذا أتت لن يؤمنوا بل إنهم فعلوا كما فعلوا السابقون وإنهم لكاذبون، ولكن ما يجب أن يعلمه الناس أن كل نفس ذائقة الموت -ولن تخلدوا- وتوفون أجوركم يوم القيامة، وما العيش إلا عيش الآخرة وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور.

ولذلك فبلاء المؤمن بالله والداعي له، بلاء شديد فالنفس وأهواؤها من جهة وذلك بلاء عظيم وأذى الكتب المحرفة والمشركين من جهة أخرى، والمنافقون أشد بلاءًا قاتلهم الله، إنه سميع مجيب، ولكن

بالصبر والتقوى لله تعزم الأمور وبهما يزكى الإيمان والتقوى.

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [آل عمران: 187 - 188].

فليس لكم من الأمر شيئاً، لله ملك السماوات والأرض وهو على كل شيء قدير وإن في خلق السماوات والأرض لآيات لأصحاب النهى الذين يذكرون الله كثيراً ويتفكرون في خلق الرحمن، سبحانك ربنا ما خلقت هذا باطلاً، ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾.

﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾ لأن النداء جاء للحق ومن الحق فوجب أن يكون الإيمان خالصاً لوجه الله تعالى.

ولقد ضرب الله من كل مثل في كلامه للناس ليتخذوا للحق سبيلاً، فلكم في رسل الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً.

فأظلم من عرفته البشرية كان فرعون إذ قال ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ و ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ أيدعي الألوهية ويجبر الناس على عبادته، ولا يرى لهم سبيلاً إلا اتباع هواه.

أي ظلم ذلك، ألا لعنة الله على الظالمين وعلى كل من اتخذ من فرعون قدوةً ومثلاً وقال مثل قوله.

ورغم ذلك أمر الله موسى وهارون عليهم السلام ليذهبا إلى فرعون يدعوانه بالحكمة والموعظة الحسنة لعله يذكر أو يخشى قال تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا

نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ طه (42-46).

كذلك أمر الله موسى وهارون عليهم السلام فما كانت دعوتهما إلا للحق ليبطلا أمر من تكبر في الأرض وعلا علواً كبيراً.

ذلك مثل من أسلم واهتدى من بني إسرائيل، والإسلام هو خضوع القلب لأمر الله تعالى والقبول طوعاً.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾ ﴾ الفرقان (50-52).

بمشيئة الله تعالى وحفظه سيظل القرآن سبيلاً للهدى والتقوى ذلك أن الله ختم عهد الأنبياء والرسل ولو شاء سبحانه لبعث في كل قرية نذير.

ولكن كلا الفعلين يؤديان نفس الغاية في إبلاغ الناس وتعريفهم على الحق جل جلاله، فكما كل نذير يدعو لله ببلاغ ومعجزة، فإن القرآن بلاغ ومعجزة لا تنقطع، ولكن لا فائدة في أناس أصموا آذانهم وأصروا واستكبروا استكباراً ومضت سنة الأولين ولمن آمن بالله وصدق بالهدى وما أنزل على محمد والرسل من قبله صلوات الله عليهم أجمعين الجهاد والاجتهاد علماً وفكراً اقتداء بكتاب الله كلٍ حسب قدرته وعلمه ولو بتبليغ آية في سبيل الرشد والتقوى بتكليف من الله تعالى.

﴿ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ إبراهيم 51-52.

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ القصص (70).

أحمد خليفة اليوسف

المراجع

1 - NASA - NATIONAL AERONAUTICS AND SPACE ADMINISTRATION	www.nasa.gov
2 - موقع أحد أحد	www.ahad-ahad.c
3 - موقع بي . بي . سي	www.bbc.co.uk
4 - هذا خلق الله	مد خليفة اليوسف
5 - الله أحد الله الصمد	مد خليفة اليوسف
6 - الكتاب المقدس – كتاب التكوين- الطبعة الرابعة	ص 1-3

فهرس المحتويات

مقدمة 3
الفصل الأول أزمة الفكر وأسباب انحطاط النفس البشرية 12
بدء الخليقة 15
اليوم الأول: النور 15
اليوم الثاني: الجلد 15
اليوم الثالث: الأرض الجافة والخضراوات 16
اليوم الرابع: القمر والنجوم 16
اليوم الخامس: الطيور والأسماك 16
اليوم السادس: الحيوانات والإنسان 16
اليوم السابع: يوم الراحة 17
التعليق 18
الفصل الثاني الفكـــر 33
الفكـــرة 44
المفهوم 52
الدراسة الفلسفية والعلمية 52
النظرية الفكرية والنظرية العلمية 55
الحقيقة 59
الحق جل جلاله 63
الفصل الثالث القرآن الكريم 70
المراجع 95
فهرس المحتويات 96